الفصل الثالث

حرب العقول
التخطيط . . والإعداد

الحرب التى ظهرت نتيجتها قبل انتهاء يوم ٦
أكتوبر وانتصر فيها فريق العقول « المصرى » .

obeikandl.com

فى غرفة العمليات

القائد العام للقوات المسلحة الفريق أول أحمد إسماعيل على مع رئيس العمليات [قبل وأثناء الحرب] الفريق محمد عبد الغنى الجمسى

الفريق الجمسى مع الفريق حسنى مبارك قائد القوات الجوية ، والذى أصبح – بعد الحرب – نائباً لرئيس الجمهورية

obeikandi.com

هكذا دار الإعداد والتخطيط

كراسة الجمسى :

أستطيع أن أقول واثقاً إن التحديات التى كانت تقف فى وجه المخططين – المصريين لم يواجهها غيرهم منذ بدأ الصراع البشرى على الأرض .

أقول ذلك واثقاً من أننى لم أجنح لحظة واحدة نحو المبالغة ، إذ أن هناك من الخبراء العالميين من وصلوا إلى هذا الحكم ، كما أننا حين نلقى نظرة فاحصة على هذه التحديات الشرسة التى كان على المخططين المصريين مواجهتها ، سوف ترى كيف كانت مهمتهم قاسية لم يتعرض لها أحد من قبل .

كما أن الحقيقة التى تقول إن التخطيط مثله مثل القرار والتنفيذ كان مصرياً مائة فى المائة . . هذه الحقيقة تضيف بعداً آخر لحجم التحدى الذى حمله على عاتقهم المخططون المصريون ، فهم لم تساندهم عقول أخرى . أو خبرات من خارج الحدود ، ويكفى فى هذا الصدد أن نتذكر الوقفة اليائسة لواحد من أكبر الخبراء – السوفييت أمام الساتر الترابى الهائل الذى أقامه الإسرائيليون على الضفة الشرقية للقناة ، وقوله « إن الحل الوحيد لفتح ثغرات فى هذا الساتر هو استخدام القنبلة الذرية ، كما أن لنا أن نتذكر أيضاً دهشة القادة والخبراء السوفييت التى عبروا عنها حينما توالت أنباء العبور والاقتحام المصرى . حتى إن الخبير السوفييتى الذى التقى مع اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى قبل الحرب وقال له « إذا كان مشاتكم سيبقون ثلاث أو أربع ساعات على الضفة الشرقية وحدهم بدون مدرعات فإنهم سيقضى عليهم بالتأكيد . . إن قواتكم سوف تدمر لو حاولتم العبور » .

هذا الخبير نفسه جاء إلى مصر بعد الحرب . . والتقى مع اللواء سعد مأمون ، وعانقه قائلاً « لقد انتصرتم . . لقد حققتم المعجزة »

أعود إذن فأقول لقد كانت مهمة المخططين المصريين شاقة وفريدة فى نوعها وحجمها وتشعبها لقد كانت حرباً فى حد ذاتها . حرباً تخوضها العقول قبل أن تنطلق قذيفة واحدة فى ميدان القتال .

وبديهى أن الحربين (حرب العقول . . وحرب الرصاص) يكمل كل منهما الآخر بل لعل الفريق الذى ينتصر فى حرب العقول . . هو الذى يمهد لرجاله فى ميدان القتال فرص الانتصار والتفوق .

وقد أشار الرئيس السادات فى أحد أحاديثه إلى هذه الحرب ،

وقال إن هذه الخطة التى تضمنتها كراسة الفريق محمد عبد الغنى الجمسى الذى كان رئيساً لهيئة العمليات وقتها – كانت محصلة لجهد رائع ومذهل بذلته العقول المصرية .

– فماذا كان فى كراسة الجمسى ؟

– أو كيف كانت « الخطة » التى وضعتها القيادة المصرية لحرب أكتوبر ؟

لقد درست القيادة المصرية – من خلال تقدير الموقف – الموانع والصعوبات التى سوف يواجهها المقاتلون على أرض المعارك حين تعطى لهم إشارة البدء كما درست موقف العدو من كل جوانبه . بالإضافة إلى موقف قواتنا بالطبع . وإذا نحن بدأنا بعنصر (الأرض) متمثلاً فى الموانع سنجد التالى :

المانع الأول : أخطر مانع مائى فى التاريخ :

يذكر التاريخ العسكرى كيف اضطرت بعض الجيوش إلى عبور موانع مائية تقف بينها وبين هدفها ، لكن الصفحات الجديدة التى أضافها التاريخ إلى كتابه تقول إن تلك الموانع متمثلة فى الأنهار والقنوات لم تصل فى خطورتها إلى ما وصلت إليه قناة السويس التى كان يتحتم على القوات المصرية عبورها .. فقد تميزت هـذه القناة عن غيرها من الموانع المائية بعدة صفات فريدة جعلتها تمثل تحدياً خطيراً للمخطط والمنفذ معاً .

١ – جوانب القناة لا تنحدر بشكل تدريجى كما هو معروف بالنسبة للأنهار والقنوات العادية ، وإنما تقف جوانبها بشكل رأسى تقريباً ، وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد ، بل إن هذه الجوانب أو الشواطئ مكسوة بالدبش والأسمنت علاوة على ألواح وشرائح من الصلب على جانبى القاع لتقويتها ولتحول دون انهيار الجانبين . وهى بهذا الشكل تمنع نزول وصعود المركبات البرمائية إلا بعد تجهيزات هندسية مسبقة تتطلب أعمالاً خاصة .

٢ – على حافتى القناة ينهض ساتران ترابيان هائلان يصل ارتفاعهما إلى ٢٠ متراً

الساتر الذى أقامته القوات المصرية على الضفة الغربية ، والذى يتحتم فتح ثغرات واسعة فيه قبل عبور القناة ، ثم الساتر الذى أقامه الإسرائيليون على الضفة الشرقية (والذى يتحتم فتح ثغرات واسعة فيه بعد عبور القناة) .

وحيث إن المرحلة الأولى ستبدأ قبل فتح هذه الثغرات ، فإن المقاتلين المشاة سيكون عليهم تسلق الساتر الشاهق الذى يشبه فى ارتفاعه عمارة مكونة من أكثر من ثمانية طوابق .

٣ – عرض القناة الذى يتراوح بين ١٨٠ ، ٢٢٠ متراً . . لا يسمح للقوات بالمناورة والانتشار أثناء العبور بل إنه يتسبب فى الازدحام والكثافة مما يجعل القوات هدفاً سهلاً لضربات العدو . . ويوضح خطورة هذه الصفة ما نعرفه عن الأنهار التى عبرتها جيوش مجاربة من قبل ، وكيف كان عرضها يصل إلى ألفى متراً .

٤ – لا يوجد فى القناة مكان ضحل أو «مخاضة» كما يقول العسكريون ، وأهمية هذه المخاضة تتمثل فى احتمال أن يضطر المقاتلون إلى الخوض فى المياه على أقدامهم وهم يحملون أسلحتهم ومعداتهم . ليس هذا فقط بل إنها تعتبر من أعمق الموانع المائية إذ يصل عمقها إلى ١٨ متراً ، كما أن سطح الماء ينخفض عن مستوى حافة الشواطئ بحوالى أربعة أمتار الأمر الذى يحتم تكسير وتسوية حافة الشاطئين لكى يتيسر رسو وسائل العبور المختلفة .

٥ – لم يحدث أن أقيم على طول شواطئ مانع مائى تحصينات دفاعية متصلة مثلما كان الحال بالنسبة لقناة السويس التى أقام الإسرائيليون على شاطئها الشرقى خط بارليف ، بالإضافة إلى حقول الألغام الكثيفة جداً التى بثها العدو على الحافة مباشرة ، ثم كانت هناك مواسير النابالم التى أعدها الإسرائيليون لتتدفق منها النيران بكميات هائلة تكفى لتحويل القناة كلها إلى قطعة من الجحيم يحول من يقترب منها إلى رماد .

٦ – التيار المائى فى قناة السويس متغير السرعة من مكان لآخر بل من ساعة إلى أخرى – وهذا ما يضيف إلى مشكلة تثبيت رؤس كبارى العبور .

٧ – نظراً لأن القناة تصل بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ، فإن المد والجزر فيها يمثلان مشكلة أخرى إذ يتغير مستوى مياه القناة ٤ مرات خلال اليوم الواحد ، ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جذر حوالى ٦٠ – سنتيمتراً فى الشمال ويتزايد إلى مترين قرب السويس .

. . تلك هى أبرز الصفات التى تجعل من قناة السويس مانعاً مائيًّا فريداً فى صعوبته وقسوته . ويكفى أن نتوقف أمام قائد أمريكى بحرى هو الأدميرال« ماكولى » حين سأله ضابط مهندس مصرى قائلاً :

« لو كلف سلاح المهندسين الأمريكى بعبور القناة من الغرب إلى الشرق فكم من الزمن يستغرق ذلك العبور فى عملية حربية ؟

وأجاب الأدميرال الأمريكى على الفور وبلا تردد :

« إن ذلك يحتاج إلى ٤٨ ساعة على الأقل » .

* * *

المانع الثانى : الساتر المانع الترابى الذى يقف سدًّا شاهقاً :

أشرت فى الصفحات السابقة إلى الساتر المانع الترابى الذى أقامه الإسرائيليون على الضفة الشرقية للقناة ، وإذا كنت قد ربطته بالقناة نفسها كإضافة قياسية إلى صعوبتها كمانع مائى ، فإننى لابد أن أتوقف الآن أمامه باعتباره يمثل مانعاً مستقلاً .

١ – لقد أقام الإسرائيليون هذا الساتر المانع الترابى العملاق على طول الضفة الشرقية لقناة السويس ، وظلوا يزيدون من ارتفاعه حتى وصل إلى ٢٠ متراً .

٢ – لم يكتف الإسرائيليون بهذا الحجم الهائل للسد الترابى ارتفاعاً وعرضاً ، ولكنهم زرعوا جوانبه بحقول من الألغام بالغة الكثافة .

٣ – أنشئ فوق قمته المترامية الأطراف مرابض للدبابات والعربات المدرعة الإسرائيلية بفاصل يتراوح بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ متر ، ومعنى ذلك أن كل كيلو متر واحد يشمل ٨ مرابض ، ولو قمنا بعملية حسابية بسيطة لوجدنا أن خط المواجهة الذى يصل إلى ١٧٠ كيلو مترًا يحتوى على ١٣٦٠ مربضاً للدبابات والمدرعات ، ولنا أن نتصور كمية النيران التى تنهال من هذه المرابض على القوات التى تستعد للعبور كما أن هذه المرابض تم إعدادها بحيث تقوم بإنتاج نيران جانبية مؤثرة توجه إلى القوات أثناء العبور .

٤ – حتى لو جردنا هذا الساتر الترابى من كل هذه التجهيزات الكفيلة بوأد عملية العبور فى مهدها . فإن مجرد تسلقه بارتفاعه الحاد يمثل مشكلة كبيرة أمام الأفراد المشاة الذين يحملون على ظهورهم معدات ثقيلة جدًّا فكيف يكون الحال إذا كان

عليهم أن يتسلقوه وسط جحيم النيران الذى يتربص لهم .

٥ – فى حالة نجاح المشاة فى اجتياز هذه المخاطر والصعوبات . . كيف تعبر المدرعات وهى القوات الرئيسية والأساسية فى العمليات القتالية ؟

كيف يمكن أن تعبر هذه المدرعات بعد فترة وجيزة من عبور المشاة الذين سيتصدون وحدهم لمدرعات العدو وحصونه ؟

إن الأمر يتطلب شق طريق أو فتح ثغرات داخل هذا الساتر من عدة أماكن بأسرع ما يمكن . . حتى تنطلق المدرعات إلى مهماتها . فكيف يتم ذلك وبهذه السرعة ؟

– كيف . . والقوات المصرية لا تملك عصاً سحرية . . وليس فى مخازنها قنابل ذرية ؟

– مهمة قاسية أخرى . . كان على المخططين المصريين مواجهتها بكل ما أوتوا من علم وثقافة وخبرة وابتكار ! !

« ملحوظة » أنشأ الإسرائيليون عدداً آخر من السواتر الترابية على عمق يتراوح بين واحد وثلاثة كيلومترات من الشاطئ الشرقى للقناة بنظام خاص ، وهذه السواتر تستخدم كخطوط ومرابض نيران إضافية للدبابات وهى تلعب دوراً مؤثراً فى تحقيق عنصر الدفاع المتحرك وهو تكبيد القوات المهاجمة أكبر خسائر ممكنة فى جيوب نيرانية قوية » .

المانع الثالث : سلاح إسرائيل السرى :

« كان تسهال (جيش الدفاع الإسرائيلى) يعتمد أيضاً – فى جعل أى محاولة مصرية للعبور ضرباً من الانتحار الجنونى – على سلاح سرى خطير فقد كان يخرج من كل نقطة حصينة من نقاط خط بارليف مواسير للمازوت تتجه إلى مجرى القناة ، وفى وسعها أن تقيم فى دقائق سداً من النيران واللهب أمام المهاجمين » .

هكذا وصف كاتب فرنسى كبير « المانع الثالث » الذى كان على العقول المصرية أن تخطط لمواجهته والتغلب عليه .

وإذا نحن استعرضنا صورة هذا المانع بشكل أكثر تفصيلاً نجد أن القوات الإسرائيلية أعدت أجهزة لضخ مواد ملتهبة على الشاطئ الشرقى للقناة ، وقد صممت هذه الأجهزه بحيث كانت قادرة على أن تضخ وتدفع على سطح المياه – بطول امتداد

القناة – مزيجاً من النابالم والزيوت سريعة الاشتعال وكميات من الكيروسين ، لتكوين طبقة من النيران فوق سطح المياه ، وبذلك تتحول القناة نفسها إلى حاجز من اللهب يستحيل اختراقه . وكانت هذه الأجهزة الرهيبة تتكون من عدد من المستودعات الضخمة المعبأة بالخليط السريع الالتهاب ، ولها صمامات تتحكم فيها طلمبات ضخ ماصة كابسة ، ويخرج منها خط من الأنابيب بقطر ٦ بوصات ، وتنتهى بفتحات تحت الماء على مسافات متقاربة ، وبشكل أكثر تركيزاً فى جميع الأماكن الصالحة للعبور .

كان كل مستودع قادراً على ضخ ٢٠٠ طن من هذه المواد النابالمية الزيتية الكيروسونية ، وكانت جميع المستودعات مدفونة تحت سطح الأرض حتى يستحيل ضربها بالمدفعية .

وحينما تمكن أحد رجال المخابرات المصرية من الحصول على عينة من هذة المواد الملتهبة ، تمت تجربتها بنفس النسب على مياه النيل وعندما قيست درجة حرارة المياه « فى السطح » بعد اشتعالها اتضح أنها وصلت إلى ما يقرب من سبعمائة درجة مئوية ؟ يعنى – وكما قال أحد العسكريين المتخصصين – كانت هذه المواد الملتهبة التى ادخرها الإسرائيليون لقوات العبور المصرية كانت من القوة والبشاعة بحيث تحول القناة إلى قطعة من جهنم ، حتى أنها تشوى الأسماك مهما هربت إلى القاع ، وتلفح حرارتها أى شخص يبعد عنها بمسافة ٢٠٠ متر ! !

. . . . . .

والواقع أن إسرائيل لا تستطيع أن تزعم – كعادتها – أنها هى التى ابتكرت هذا المانع النارى ، إذ أن فكرة إشعال النار فوق الموانع المائية ترجع إلى عام ١٩٤٠ وكان صاحبها ضابطاً إنجليزياً يعمل فى المخابرات ويدعى جون بيكر هوايت حين لاحظ وجود أنابيب بها ثقوب متصلة بخزانات وقود عند خليج سانت مرجريت بالقرب من دوفر حيث تقف القوات الإنجليزية تأهباً لصد الغزو الألمانى . . فأخذ يفكر فى إمكانية استغلال هذه الأنابيب والخزانات لإشعال سطح القناة . ونظراً للإمكانيات المحدودة فى تلك السنة ، فإن العمل اقتصر على نموذج واحد تقريباً ، لاستغلاله فى حرب نفسية ضد الألمان . وقد نجحت هذه الحرب فعلا فى تحقيق هدفها .

. . . . . .

ونعود إلى قناة السويس . . حيث استخدم الإسرائيليون كل الإمكانيات فى إقامة أجهزة ضخ المواد الملتهبة . . لتصبح بالفعل مانعاً جديداً بالغ الخطورة ولعل هذا ما جعل

ديان يقول ذات يوم – بعد حرب الاستنزاف « إن القوات المصرية لو حاولت عبور القناة سوف تباد عن آخرها ، وتتحول إلى رماد » .

. . . . . .

وكان على فريق العقول المصرية أن يتصدى لهذا المانع . . ويخطط لمواجهته فكيف ؟ ؟

المانع الرابع : قبضة إسرائيل الحازمة

كان للإسرائيليين الحق – كل الحق – فى الاعتماد والثقة الكبيرة فى خط بارليف الذى أنشأوه على الضفة الشرقية لقناة السويس ، ليكون مانعاً آخر ، أو مانعاً أول ضد أى محاولة مصرية لدخول سيناء .

كان لهم الحق – كل الحق – فى أن يقولوا مثلا على لسان معشوقهم وإله حربهم موشيه ديان :

« إن عمليات العبور المصرية – إذا حدثت ! ! – لن تؤثر على قبضة إسرائيل الحازمة المتمثلة فى خط بارليف المنيع – وسوف يتلقى المصريون الرد الحاسم لأن التحصينات الإسرائيلية فى خط بارليف أكثر قوة وتنظيماً ويمكن القول بأنه خط منيع يستحيل اختراقه .

إننا أقوياء بدرجة تكفى للاحتفاظ إلى الأبد بخط بارليف الذى أنفقنا على إنشاء تحصيناته مبالغ طائلة » .

كان لهم الحق – كل الحق – فى أن يقولوا – مثلا على لسان جدتهم العجوز السيدة جولدا مائير رئيسة وزرائهم السابقة ، حين وقفت بين حصون خط بارليف ، وتلفتت هنا وهناك وقالت وقد ارتسمت على تجاعيد وجهها سعادة غامرة : « إن خط بارليف رمز للذكاء الإسرائيلى . . وإن أى محاولة للاقتراب منه . . ستكون إهانة لهذا الذكاء ! !

وكان لهم الحق – كل الحق – أن يقولوا أيضاً على لسان صاحب الخط شخصيًّا الجنرال حاييم بارليف :

« إننى متأكد أن مصر إذا استأنفت القتال فلن تتمكن من تحقيق أى عبور ، وذلك لاستحالة اجتياز خط الدفاعات الإسرائيلى المقام على امتداد الضفة الشرقية كما أن قواتها لن تتمكن على الإطلاق من عبور قناة السويس بسبب ما يشكله هذا الخط من خطر على القوات القائمة بالعبور .

كان لهم الحق – كل الحق – فى أن تتوالى تصريحاتهم عن مناعة وخطورة قبضتهم

الحازمة المسماة خط بارليف . وكان بعض الخبراء الأجانب معذورين فى قولهم « مساكين هؤلاء المصريون . . ماذا هم فاعلون وهذا الخط الحصين فى انتظار أى تحرك منهم ؟ » .

ولكن لماذا كان لهم الحق كاملا فى أن يثقوا فى خطهم البارليفى ؟

ولماذا كان للخبراء الأجانب العذر فى أن يشفقوا على القوات المصرية لو فكرت فى العبور ؟

لمـــــاذا ؟

إن التاريخ العسكرى قد عرف الخطوط الدفاعية الحصينة قبل أن ينضم إليها خط بارليف الإسرائيلى .

فقبيل نشوب الحرب العالمية الأولى أنشأت فرنسا خطًّا دفاعيًّا حصيناً أطلق عليه « فردون » ، وقد قهر الجيش الألمانى بقيادة الماريشال « فولكنهاين » – هذا الخط فى ٢١ فبراير ١٩١٦ معلناً أنه بذلك قد حطم الكبرياء الفرنسية ودمر معنويات الفرنسيين .

وبعد أقل من عشرة أعوام من الحرب العالمية الأولى أنشأت فرنسا خطها الدفاعى الثانى مستفيدة فى إنشائه من تجربة خط « فردون » ، وقد سمى هذا الخط باسم وزير الدفاع الفرنسى الذى أشرف بنفسه على بنائه ، وهو « اندريه ماجينو » وقد أجبرت مناعة خط « ماجينو » هذا الجيش الألمانى بقيادة الجنرال « جودريان » على تفادى اقتحامه وآثر أن يقوم بتطويقه فقط والالتفاف من « سيدان » والاندفاع بمدرعاته فى اتجاه نهر الميز .

عرف التاريخ إذن خط فردون وخط ماجينو وخط جينسوتا وخط سيجفريد وغيرها من الخطوط الدفاعية الحصينة . لكن خط بارليف الإسرائيلى جاء لتظهر كل تلك الخطوط أقزاماً بجانبه . فلقد استفاد الإسرائيليون من كل التجارب التى ارتبطت بتلك الخطوط الحصينة ، فنقلوا مزاياها وأضافوا إليها ، فى الوقت الذى تلافوا فيه سلبياتها وعيوبها . ليس هذا فقط بل إنهم استفادوا من تجربة حرب الاستنزاف التى تم فيها تدمير ثلثى الخط الأول ، فأعادوا بناءه ، ثم عادوا فأضافوا إليه المزيد والجديد وكأنهم بذلك قد بنوه وشيدوه على ثلاث مراحل كاملة . هى المرحلة منذ انتهاء حرب يونية ٦٧ ، ثم المرحلة التى بدأت مع حرب الاستنزاف – بعد أن وقع القصف المدفعى المصرى العنيف فى سنة ١٩٦٨ واستمرت هذه المرحلة حتى نهاية حرب الاستنزاف فى أغسطس ١٩٧٠ . وبدأت المرحلة الثالثة

بمجرد إعلان وقف إطلاق النار وتوقف حرب الاستنزاف – ويعترف الإسرائيليون بأن العمل فى هذه المرحلة كان سباقاً مع الزمن .

صورة عامة لقبضة إسرائيل الحازمة :

كنت ومازلت كلما أحاول أن أشرح لأحد الأصدقاء أو أسجل فى كتاباتى وبرامجى صورة لقبضة إسرائيل الحازمة (خط بارليف) ، أشعر بأن أى وصف لا يعطى الصورة الدقيقة (بالرغم من أننى شاهدت حصون هذا الخط أثناء وبعد الحرب ، وبالرغم من أننى قرأت عنها وتناقشت مع كبار الضباط حولها كثيراً) . ولم يكن هذا موقفى وحدى بل كان موقف الكثيرين . ولذلك فإننى آثرت أن أصف الصورة التى أحاول وضعها الآن بأنها صورة « عامة » لا تصل إلى الواقع الغريب .

وأبدأ هذه الصورة بأن أطرح سؤالا هامًّا . . سأحاول أن أجيب عليه من خلال مشاهداتى . . وما كتب أيضاً .

السؤال هو : هل هو خط بارليف . . أم أنها خطوط بارليف ؟

إن المعروف – لغوياً على الأقل – أن خط التحصينات الدفاعية يتكون من حصون متصلة بالتجهيزات أو بتغطية النيران . . وتكون هذه التحصينات على طول المواجهة الواقعة أو المحتملة .

لكن حصون بارليف لم تكن تمثل خطًّا واحداً . . فعلى امتداد الضفة الشرقية للقناة كان الخط الأول والرئيسى ، وبعده – على مسافة من « ٣ إلى ٥ » كيلومترات ، كان هناك الخط الثانى ويتكون هو الآخر من تجهيزات هندسية ومرابض للدبابات والمدفعية ثم يجىء بعد ذلك – وعلى مسافة من ١٠ – ١٢ كم الخط الثالث الموازى للخطين الأول والثانى ، وكان به تجهيزات هندسية أخرى ، وتحتله احتياطات من المدرعات ووحدات مدفعية ميكانيكية . وتضمن هذا الخط أيضاً مراكز اتصال وغرف عمليات ومستشفيات كاملة .

هل كان خطًّا واحداً – إذن – أم أنه ثلاثة خطوط من التحصينات ؟

– قد يتفق معى بعضهم فى الوصف الثانى ، وقد يرى بعضهم – ولهم منطقهم أنه خط واحد بعمق كبير يتراوح بين (١٠ – ١٢ كيلو متراً) .

– وقد يقول القارئ الصديق ، لماذا نشغل أنفسنا بهذا السؤال عما إذا كان خط

بارليف خطًّا واحداً أم ثلاثة خطوط . ألا يكفى إعطاء صورة لهذه التحصينات الضخمة دون أن نتقيد بالعدد ؟ !

– وأقول أنا لعلنى أردت أن أجعلك أيها القارئ العزيز تستعد ذهنيًّا وتهيأ بخيالك لكى تتصور الحجم الهائل لتحصينات بارليف . . وحتى لا يتوقف التصور عند التحصينات الموازية للقناة فقط . .

والمهم الآن أن مساحة الصورة أمامنا . . أو المنطقة التى كانت تشغل حصون بارليف هى ١٧٠ كيلو متراً – طولا – ومن ١٠ – ١٢ كم عمقاً – وقد بلغ عدد – الحصون القوية ٣٦ حصناً و ١٥ برج مراقبة (كما يقول الإسرائيليون أنفسهم) ، وكان الخط يحتوى على ٢٠٦ ملجأ كبيراً وكذلك ٤٦٢ حصناً للأسلحة والدبابات ، ويحيط بكل نقطة حصينة ٧٣ نطاقاً من الألغام والأسلاك الشائكة .

– ويصف مؤلفو كتاب « التقصير » الإسرائيليون خط أو خطوط بارليف فيقولون :

– كانت شبكة التحصينات عبارة عن جزء من شبكة معقدة طورت من سنة إلى أخرى وقد استغرق بناؤها شهوراً كثيرة واستخدمت فى هذه العملية آلاف التراكتورات والجرافات والمعدات الثقيلة الأخرى ، وقد جلبت من شمالى البلد بواسطة آلاف من عربات النقل الكبيرة كتل من الأحجار وضعت فى شباك من الحديد سميت باسم (جفيونيم) لاستخدامها فى بناء (طبقات تفجير) فوق الدشم ، وكان الهدف من طبقات التفجير هذه – التى بلغ سمكها عدة أمتار – هو الحيلولة دون نفاذ قذائف المدفعية الثقيلة إلى داخل الدشم ، وقد استخدم الجيش الإسرائيلى المدفعية السوفييتية الثقيلة التى غنمها فى حرب يونية ٦٧ ، فى تجاربه لامتحان قدرة طبقات التفجير هذه على الصمود .

قلاع القرون الوسطى :

يضيف المؤلفون الإسرائيليون لكتاب التقصير . . فى حديثهم عن حصون بارليف فيقولون :

ازدادت هذه التحصينات التى أنفق فى البداية على بنائها عشرات الآلاف من الليرات ازدادت تعقيداً ، وتحولت من الداخل إلى مساكن مجهزة بكل وسائل الراحة :

– أجهزة اتصال متطورة .

– مكيفات هواء (أجهزة تكييف) .

- مبردات (أجهزة تبريد) .
- مواسير مياه .
- مخازن تموين .
- آلة عرض سينمائية داخل صالة مكيفة .
- تليفون عام يمكن الجنود من الاتصال مباشرة وبسرعة مع أسرهم فى مدنهم .
- مقاصف (كانتينات) ومطابخ حديثة جداً .
- مكتبة .
- وكانت أماكن إقامة الجنود داخل الدشم المحصنة وكانوا ينامون على أسرة ذات طابقين كما فى قمرات السفن .
- وكانت هناك فى كثير من التحصينات نواد مجهزة بأدوات ومعدات رياضية مثل تنس الطاولة ، وكرة السلة .
- وكان الفنانون والمحاضرون يزورن الجنود فى تحصيناتهم كل أسبوع .

. . . . . .

ولقد بنيت التحصينات التى كانت تبدو من الخارج كقلاع العهود الوسطى ، بحيث كان كل حصن كدبابة عملاقة رهيبة الحجم قادرة على القتال بصورة مستقلة ، كان المقاتلون فى داخله مزودين بقوة نيران كبيرة يمكن تشغيلها بواسطة حفنة من الرجال ، ويؤمن لكل حصن اكتفاء ذاتى من الناحية القتالية بحيث يصمد فى وجه قوات (متفوقة) كان التقدير أنه بإمكان كل حصن من حصون بارليف الدفاع فى مواجهة كتيبة مدرعة كاملة للعدو لمدة أسبوع على الأقل .

– استكمالاً نهائياً لمناعة وقدرة هذا الخط قام اللواء أريك شارون (عندما) عين قائداً للجبهة الجنوبية « جبهة سيناء » بشق مئات الكيلو مترات من الطرق قرب القناة ، وخاصة الطرق المواجهة لها بصورة عمودية ، وقد أراد بذلك أن يقلل إلى الحد الأدنى من المقاطع التى تتحرك فيها قوات الجيش الإسرائيلى تحت رحمة النيران المصرية التى تنطلق من الجهة الأخرى للقناة ، كما قصد بالطرق التى شقت بمواجهة القناة تمكين المدرعات من التحرك السريع نحو المعاقل والقناة نفسها .

وقد أمر شارون أيضاً بتجديد وتقوية المعاقل مرة أخرى برغم أنها صمدت قبل ذلك أثناء حرب الاستنزاف للقصف المصرى المركز والكثيف على مدى ستة عشر شهراً .

وبدأت عملية بناء جديدة اعتبرت « أكبر عمليات البناء فى إسرائيل » (وقد أشرف عليها اللواء دان لنر ومساعده كالمان بيجين) . فأضيفت إلى طبقة قضبان السكك الحديدية طبقة جديدة مكونة من ألواح من الحجارة وضعت فى داخل شبكات من المعدن . وقد اشترك فى العمل آلاف العمال اليهود ، وآلاف العمال الدروز الذين أحضرتهم القوات الإسرائيلية من هضبة الجولان .

بعد ذلك أضاف شارون حوالى أربعمائة كيلومتراً من الطرق شقها بجانب القناة ومن بينها مائتان وخمسون كيلومتراً تم رصفها بالأسفلت ، وفى منطقة المستنقعات فى القطاع الشمال شقت طريق وضع تحتها ستائر من البلاستيك حتى لا يتسرب الماء – إليها ويغطيها .

وقد أكثر شارون من شق طرق العرض ، وأعدت فى مفترقات الطرق ، طرق جانبية وعلى طول القناة شقت طـرق أخرى طويلة سميت « طريق البطاريات » ، وذلك لكى تتحرك عليها بطاريات مدافع الجيش بسرعة هذا وقد أنفق على إنشاء حصون خط بارليف ما يزيد على ملیارى ليرة . (ويضاف إلى هذا الرقم الذى يذكره الإسرائيليون ، أنهم استغلوا الرمال والصخور التى استخدمت فى التجهيزات من أرض سيناء ، كما أنهم سرقوا قضبان السكك الحديدية المصرية فى سيناء التى انتزعوها كلها واستخدموها أيضاً فى البناء ، بل إن هناك ما يؤكد أنهم استخدموا صخوراً من مرتفعات الجولان السورية فى إقامة هذه التحصينات البارليفية – ولو قدرت كل هذه الموارد بأسعار متوسطة لتضاعفت تكاليف إقامتها) .

وقفة أمام أحد حصون بارليف :

كما قلت من قبل فإننى شاهدت معظم حصون خط بارليف أثناء وبعد الحرب وكنت أقف مبهوراً أمام ثلاثة أمور :

١ – ضخامة ومناعة هذه الحصون .

٢ – عظمة وروعة الجنود المصريين الذين اقتحموا هذه الحصون ودقة التخطيط الذى قامت به القيادة المصرية .

٣ – ظهور الجندى والضابط الإسرائيلى على حقيقته ، إذ أن مثل هذه الحصون لم تكن تحتاج إلى جنود لهم أسطورية « السوبرمان » كما كانوا يصفون الجندى الإسرائيلى بل

كان من الممكن جداً لأى عدد من الجنود العاديين أن – يقاوموا من خلالها أسابيع وشهوراً ويلحقوا بالقوات المهاجمة لهم أفدح الخسائر – وهذا ما لم يفعله جنود جيش الدفاع الإسرائيلى فقد استسلموا فى ساعات أو أيام قليلة جداً .

وأذكر هنا أن جندياً مصرياً اصطحبنى فى جولة داخل هذه الحصون ليشرح لى – مبهوراً هو الآخر التجهيزات المتعددة ووسائل الأمان الهائلة . . وقال لى بتلقائية بسيطة « والله العظيم لو كنت – لوحدى – داخل هذا الحصن . . لما سمحت لأى قوة بالاقتراب منه ! ! ».

. . . . . .

ونلقى الآن نظرة سريعة على شكل أحد الحصون البارليفية لنرى جانباً آخر من جوانب ضخامة ومناعة هذه التحصينات .

المدخل الوحيد للموقع الحصين عبارة عن ثغرة لا يزيد عرضها عن خمسة أمتار فقط تسمح بمرور العربات والدبابات القادمة من ناحية الشرق ، بمعنى أنه لكى يدخل أحد الحصن لا بد أن يكون قادماً من اتجاه القوات الإسرائيلية فى سيناء . ويتم إغلاق هذا المدخل بحبل من الألغام المضادة للدبابات والأفراد ، وبواسطة بعض الجنود الذين يعرفون الممرات الآمنة خلال تلك « السدادة المكونة من الألغام – هذا وكان لكل حصن مدخل واحد فقط أو مدخلان فى حالات قليلة .

الحصن يقع على مساحة تزيد على أربعة آلاف متر مربع وقد تصل إلى خمسة آلاف متر .

يتكون الحصن من أربع دشم .

الدشمة الواحدة عبارة عن بناء من ثلاثة طوابق . الطابقان الأول والثانى ونصف الطابق الثالث تحت الأرض وبالتالى لا يظهر منها سوى النصف الآخر من الطابق الثالث والذى توجد فيه « المزاغل » وهى الفتحات المستطيلة التى تظهر منها فوهات المدافع باختلاف أحجامها .

الدشمة مبنية بالأسمنت المسلح (بكميات ضخمة) وتتكون أسقفها من قضبان السكك الحديدية ، وطبقات عديدة من الصخور والرمال (يصل ارتفاعها إلى عشرة أمتار) ثم شبكة من الفولاذ .

لكل دشمة ولكل طابق منها وأيضاً لكل غرفة باب من الفولاذ لا يمكن فتحه ولا

يتأثر بقذائف المدفعية ، ويتحكم فى إغلاقه وفتحه الجنود الموجودون بالداخل أوتوماتيكيًّا .

السقف الذى يصل بين كل طابق والآخر من طوابق الدشمة يصل سمكه إلى أكثر من مترين (من الأسمنت المسلح والقضبان والأحجار والرمال) .

نتيجة لذلك كله . . كانت الدشم تتحمل قصف المدفعية وقنابل الطائرات حتى القنابل زنة ألف رطل . .

تم تجهيز وتنسيق العمل بين الدشم المختلفة بحيث تلتقى النيران والقذائف التى تنطلق من إحدى الدشم مع القذائف التى تصدر من الدشمة المجاورة . فتكون المنطقة الموجودة بينهما مغطاة بالنيران تماماً – كما تم تجهيز كل نقطة بحيث يمكنها تحقيق الدفاع الدائرى ، كما قسمت إلى أجزاء يمكن لكل منها أن يقاوم ويدافع دفاعاً دائريًّا إذا ما سقط الجزء أو الأجزاء المجاورة له .

فى كل حصن عدة أنواع من الأسلحة المختلفة كمدافع الهاون ، والمدافع الذاتية الحركة والرشاشات التى تعمل ذاتيًّا بمجرد إحساس أجهزة إليكترونية متقدمة جدًّا بحرارة أى إنسان يقترب من الحصن . بالإضافة إلى الرشاشات المضادة للطائرات وأيضاً مواقع للصواريخ أرض – أرض .

حول كل دشمة ممر يأخذ شكل القوس ، وينتهى طرفاه بمربض للدبابات ، تصعد فوقه الدبابة لتضرب ثم تختفى بنزولها فى قاع القوس بعيداً عن القذائف المصرية . وكانت كل دشمة مدعمة بحوالى ثلاث دبابات .

* كان الإسرائيليون يستخدمون مصعداً كهربائيًّا للمراقبة ، ثم طوروه – بعد أن دمر القناصة المصريون الكثير منه أثناء حرب الاستنزاف – وأصبحت المراقبة عن طريق « بيريسكوب » إليكترونى يصعد أوتوماتيكيًّا من إحدى الثغرات ثم يختفى .

* هذا كله بالإضافة إلى خزانات النابالم والمازوت التى كانت معدة لتتدفق منها النيران عبر المواسير المثبتة تحت سطح مياه القناة .

لماذا أقام الإسرائيليون خط بارليف :

لم تكن الجهود المتواصلة والتكاليف الباهظة التى بذلتها وأنفقتها إسرائيل فى إقامة

تحصينات خط بارليف . من قبيل الرفاهية . . (هذا غير وارد بالطبع) إن إسرائيل استنزفت جهود مهندسيها وعمالها وجنودها على مدى سنوات . . وأنفقت ملايين من الليرات بل سخرت ما لديها من مواد حتى إنها استخدمت كل ما لديها من أسمنت ، فى بناء وتجهيز خط بارليف لكى تحقق الأهداف التالية :

١ – ترسيخ الوجود الإسرائيلى فى سيناء وعلى ضفة القناة الشرقية بوقاية جنودها المتمركزين فى خط المواجهة ضد التأثير النيرانى للمدفعية والطائرات المصرية مع تحقيق القدرة على الصمود ضد أى هجوم يرى من أى اتجاه . وفى الوقت نفسه يتيح تجهيزات الحصون إمكانية توجيه ضربات تدميرية تأديبية للقوات والمدن المصرية بين الحين والحين لإجهاض أى محاولة أو حتى فكرة للعبور وليس بخاف ما أحدثته مدفعية ودبابات مواقع لسان بور توفيق وعيون موسى وبور فؤاد فى مدن السويس وبور سعيد والإسماعيلية من تدمير وقتل استنكره المراقبون العالميون .

٢ – إعطاء إنذار مبكر ببدء العمليات من جانب القوات المصرية .

٣ – إعطاء معلومات دقيقة بوسائل الاستطلاع الموجودة فى المواقع الحصينة والمستفيدة من ارتفاع الساتر الترابى عن عمليات الإعداد وعمليات اقتحام القناة ، وخاصة فى المراحل الأولى .

٤ – السيطرة على المناطق الصالحة لعبور القناة والطرق الطولية التى تؤدى إلى عمق سيناء .

إدارة نيران المدفعية وتوجيه طيرانهم .

– « ترى هل تكفى هذه الوقفة لكى يتضح قدر معقول من ضخامة وأسطورية خط بارليف ؟ ؟ وبالتالى تتضح جسامة وصعوبة إحدى المهام الملقاة على عاتق المخططين المصريين ؟

– أعتقد – أو – أرجو ذلك . .

– وفى نفس الوقت أجدنى خاضعاً لإغراء الاستشهاد بأقوال أخرى أضمها لتلك الأقوال التى سجلتها فى بداية الحديث عن « قبضة إسرائيل الحازمة . . خط بارليف وأتحفظ فأقول إن خضوعى لهذا الإغراء بالاستشهاد بمزيد مما قيل يرتبط أساساً برغبتى فى تعميق الصورة ، وتحقيق الموضوعية الكاملة .

– فى ٦٩/٥/١٥ قال مناحم بيجن زعيم كتلة ليكود :

« إن المصريين لن يمروا عبر خط بارليف وهم لو فكروا فى ذلك فإنهم سيكون مصيرهم مثل مصير جيش فرعون » .

وتطالعنا أيضاً هذه السطور المثيرة :

– إن الاستحكامات التى أقامتها إسرائيل على الضفة الشرقية للقناة والمسماة بخط بارليف ، قد غيرت الموقف العسكرى كلية ونهائياً لصالح إسرائيل . لقد أصبح فى استطاعتنا أن نطلق النيران أو لا نطلقها وفقاً لمشيئتنا نحن ، ما دام جنودنا فى حماية تحصينات خط بارليف الذى برهن على فعاليته تحت وطأة نيران المدفعية المصرية فى حرب الاستنزاف .

(توقيع)
الجنرال أفراهام آدن
أحد القادة الإسرائيليين

« إنه من الواضح فى رأيى أننا سوف نظل مرابطين على خطوطنا الدفاعية بالضفة الشرقية للقناة . . تلك الخطوط التى تعتبر أكثر الخطوط الدفاعية ملاءمة لنا . والتى نستطيع أن نحافظ عليها بأقل التضحيات الممكنة . وهى كذلك تعتبر العقبة الرئيسية أمام عبور جيش تقليدى بطىء الحركة وثقيل كالجيش المصرى » .

(توقيع)
الجنرال شارون
فى حديث مع رئيس تحرير صحيفة لوموندا الفرنسية
بتاريخ ١٩/ ٧/ ١٩٧٠

« إنه فى الوقت الذى تناقش فيه الولايات المتحدة مسألة احتلال إسرائيل لصحراء سيناء المصرية ، فإن القوات الإسرائيلية قد أقامت لنفسها – بعد أكثر من خمس سنوات من الاحتلال – جذوراً عميقة ، فأقامت التحصينات والمعسكرات الدائمة ، حتى باتت سيناء تمثل معسكراً إسرائيلياً حصيناً للغاية . وعلى امتداد الضفة الشرقية للقناة ، فإن الجنود الإسرائيليين يعتبرون آمنين بنسبة ١٠٠ ٪ (مائة فى المائة) حيث تحميهم ملاجئ ودشم متينة مصنوعة من الأسمنت المسلح والحديد والقضبان الفولاذية ، بينما تقوم الكاسحات والجرافات الإسرائيلية بالتمهيد للوجود الإسرائيلى الدائم بخط بارليف وذلك بتجهيز حفر الدبابات الثقيلة ومرابض المدفعية بعيدة المدى المنتشرة خلف الخط من مواقع منيعة متماسكة .

وأثناء مناقشتى مع أحد كبار القادة الإسرائيليين على جبهة السويس سألته عن احتمال اختراق المصريين بالقوة لخط التحصينات الإسرائيلى أو محاولة إقامة رأس جسر لهم على الضفة الشرقية للقناة ، فأجابنى فى ثقة :

« إن عبور حفنة من رجال الجيش المصرى – كقوة دورية مثلاً – إلى الضفة الشرقية بغرض بث الألغام والفرار بسرعة أمر ممكن . . أما إقامة المصريين لرأس جسر بقوة كبيرة فهذا أمر محال إنها خطوة ليس فى قدرة مصر تحقيقها أبداً . .

إن الجيش المصرى – على الرغم من آلاف القصفات من المدفعية الثقيلة والهاونات والصواريخ ، قد يفشل فى تدمير حصن واحد من حصون خط بارليف .

(توقيع)
توماس تشيتهام
(مراسل وكالة اليونيتدبرس)
وقد نشر هذا التحقيق فى عام ١٩٧٢ بعد أن دعته القيادة الإسرائيلية لزيارة تحصينات خط بارليف على القناة وفى سيناء

فى مواجهة هذه الموانع :

كيف حاربت العقول المصرية معركة الإعداد والتخطيط ؟

فى بداية حديثى عن الموانع كما كانت قائمة قبل حرب أكتوبر ، قلت لقد كان يحق لقادة إسرائيل أن يطمئنوا إلى مناعة موقفهم فى مواجهة الصعاب الهائلة التى تعترض أى تحرك مصرى .

كان يحق لهم أن يطمئنوا ما وسعهم الاطمئنان ، وكان يحق لهم أيضاً أن ترتفع لهجتهم المغرورة الواثقة .

ولكن كان للمصريين أيضاً الحق كل الحق فى أن يثقوا فى ذكائهم وقدراتهم وإمكانياتهم . كان يحق لهم أن يطمئنوا إلى أن حاضرهم العسكرى يدعمه تاريخ عريق يتعدى عمره سبعة آلاف سنة .

ومن هنا كانت المواجهة فى حرب العقول ساخنة ملتهبة ، متشعبة دروبها عميقة أبعادها ، دقيقة حساباتها .

وقبل أن نتطرق للحديث عن جولات وميادين هذه الحرب العقلية ، يجدر بنا أن نلقى نظرة على أهم الأسس التى وضعتها القيادة المصرية فى اعتبارها لقد تم تحديد الهدف العسكرى بالعمل على هزيمة قوات العدو الإسرائيلى وتكبيدها خسائر فادحة ، والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية تهيئ الظروف المناسبة لفرض الحل السياسى العادل للقضية وقد تم تحديد الهدف العسكرى بعد دراسة الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية بكل جوانبها وأسسها وقد حددها فريق العقول المصرية كالتالى :

١ – تقوم الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية على أساس نقل المعارك باستمرار خارج إسرائيل وإبعادها بأى وسيلة عن العمق الإسرائيلى .

٢ – عدم التنازل عن أى شبر من الأراضى التى احتلتها فى مراحل مختلفة ، لإيمانها بأن أى أرض يتم كسبها بالقوة تعتبر حقًا تاريخيًا وعمقاً إضافيًا .

٣ – المحافظة على القوة البشرية وبالتالى تجنب الخسائر الكبيرة فى الأرواح – ومن ثم فإن الإعداد والتخطيط للتغلب على الموانع المختلفة كان يتضمن تحقيق ما يمكن تحقيقه من الهدف العسكرى للحرب . .

الجولة الأولى : كيف التغلب على المانع المائى :

– فى مرحلة الإعداد والتحضير ، قام الجيش المصرى بالعديد من تجارب العبور على موانع مائية تشبه قناة السويس إلى حد كبير جدًا ، كما تمت عمليات عبور محدودة للقناة ذاتها (خاصة أثناء حرب الاستنزاف) وقد أفادت هذه العمليات فى تحقيق جميع الأهداف المحددة ، كما أنها كانت فى الوقت نفسه مصدراً للمعلومات والخبرات .

قام سلاح المهندسين المصرى بإعداد وتوفير معدات ومهمات العبور فتم تصنيع ٦٠ ٪ من الكبارى محلياً ، وتمت صناعة ٧٥ ٪ من قوارب الاقتحام التى وصل عددها إلى ٢٥٠٠ قارب وقد تم التدريب الشاق على إقامة الكبارى فى أسرع وقت (برغم بدائيتها) وعلى استخدام القوارب بشكل منظم للغاية .

– قام العلماء من رجال القوات المسلحة المصرية بدراسة بالغة الدقة لكل ما يتعلق بالقناة كمانع مائى . . وقد توصلوا من خلال هذه الدراسة إلى التخطيط التالى :

١ – تم تحديد أصلح الأماكن لإقامة المعبر ، ولم يكن هذا التحديد بالسهولة

التى تنطلق بها الكلمات عنه ، فقد كان ذلك نتيجة لدراسة عملية لنوع التربة ودرجات الميل والانحدار . .

٢ – توصلت القيادة إلى اختيار أصلح الأوقات (ليس فقط بالشهر أو – باليوم وإنما بتحديد الساعات التى تكون أكثر مناسبة لإقامة المعابر من حيث حركة المد والجزر ومنسوب المياه .

٣ – كذلك روعى فى تحديد ساعة عبور المشاة أن تكون فى الثانية وعشرين دقيقة ظهراً بعد أن توجه القوات الجوية المصرية ضربتها الشاملة ، وبعد التمهيد النيرانى بالمدفعية . . وكان ذلك يعنى أن الموجات الأولى من المشاة ستعبر قبل أن يستعيد الطيران الإسرائيلى توازنه ويتصدى لهذه الموجات ، وقد قدرت القيادة أنه بحلول الظلام بعد الساعات القليلة المتبقية بالنهار ستقل أو تنعدم فاعلية الطيران الإسرائيلى ، وبالتالى تقل الخسائر بين المشاة الذين يقومون بالعبور كما يتسنى إقامة المعابر ودخول المعدات الثقيلة كالمدرعات فى ظلام الليل الذى يحل فى شهر أكتوبر سريعاً ويمتد إلى ١٢ ساعة .

كذلك كان تحديد ساعة العبور مرتبطاً باتجاه الشمس للاستفادة منه بحيث تكون أشعة الشمس أثناء عبور القوات فى وجه العدو .

٤ – تم إعداد وتحديد الطرق والممرات اللازمة لإيصال العربات والمعدات المختلفة إلى أماكن العبور بشكل بالغ الدقة .

٥ – تمت تحضيرات ضخمة متنوعة ومتعددة لتنفيذ مخططات العبور بسرعة ودقة لا تسمح بالتجمع الكثيف قرب نقاط العبور خلال التنفيذ وذلك للتقليل من الخسائر المحتملة نتيجة للقصف المعادى ، ولضمان عدم حدوث اضطرابات وعرقلة لحركة القوات والمركبات والآليات المختلفة .

٦ – جرى إعداد خطة المساندة القوية بنيران المدفعية لتليين الدفاعات الإسرائيلية وتحطيم الأسلاك الشائكة الكثيفة الموضوعة على الضفة الشرقية والساتر الترابى ، وأيضاً للإسهام فى تفجير الألغام المزروعة بكثافة . كما تضمنت هذه الخطة توجيه ضربات قوية فى العمق التكتيكى للعدو ضد مجموعات الاحتياطى المتحرك من الدبابات والمشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة . . المعدة للقيام بهجمات معاكسة وتدعيم مواقع خط بارليف فى تصديها لعملية العبور . وكانت الخطة تقضى بطبيعة الحال بتجميد القوات الإسرائيلية فى هذا الخط وشل حركتهم داخل حصونهم .

٧ – تلتقى هذه الخطة للمساندة بنيران المدفعية مع خطة التمهيد والمساندة بالضربة الجوية التى توجهها الطائرات المصرية والتى تقوم بتجميد السلاح الجوى الإسرائيلى أطول وقت ممكن بضرب مطاراته – وكذلك تقوم بالمشاركة فى ضرب المواقع والمدرعات الإسرائيلية .

٨ – استكمالاً لنفس الخطة يتم إبرار وحدات من قوات الصاعقة المصرية داخل عمق العدو لتعطيل مدرعاته التى تنجو من قصف المدفعية وقذف الطائرات عن الانطلاق إلى مصاطبها المتقدمة والتصدى لعملية العبور .

٩ – إذا كانت الضربة الجوية ستعمل على تجميد الطيران الإسرائيلى بضع ساعات كما هو مخطط لها ، فإنه للتأمين الكامل والمستمر ضد دخوله المعركة بشكل سريع وفعال ، تم التخطيط لمواجهته بالدفاع الجوى القادر على إبطال فعاليته بالدرجة الكافية .

١٠ – ركزت الخطة على أن يعبر القادة مع الموجات الأولى من جنودهم ، للسيطرة المباشرة وإدارة المعركة من واقع متابعة الأحداث على أرض المعركة فالقائد الذى يرى – ولا يعتمد على ما يصل إليه من تقارير – هو الذى يستطيع أن يتخذ – القرار فوراً . واتخاذ القرار فى الوقت المناسب من أهم عوامل الانتصار . . ومن ناحية أخرى كانت الخطة تضع فى الاعتبار التأثير المعنوى العظيم حينما يرى الجنود قادتهم بينهم وأمامهم من اللحظات الأولى .

وهكذا قام فريق العقول المصرية بالإعداد والتخطيط العلمى الدقيق لمواجهة المانع المائى – وليس من شك أن هناك تفصيلات جانبية أخرى . . لم يكشف عنها الستار بعد وإن كانت الصورة النهائية تقول إن الإعداد والتخطيط لهذه الجولة كان يمثل انتصاراً ساحقاً لفريق العقول المصرية .

الجولة الثانية : هل تحترق بهم القناة ؟

وماذا كانت مهمة المهندس ألبرت رحميم وزملائه ؟

– فى يوم ٥ أكتوبر أرسلت القيادة الإسرائيلية ، المهندس « ألبرت رحميم » الذى يعمل فى سلاح الهندسة إلى الجنوب ، وانضم هو وزميل له إلى مهندس آخر – وذلك من أجل فحص منشآت المحروقات التى أعدت لإشعال النـــار فى القناة إذا ما حاول المصريون العبور .

– سجل ملف عمليات الجيش الإسرائيلى تلك السطور حول جانب من جوانب

استعدادهم لمواجهة الحرب الوشيكة الوقوع مع مصر وسوريا – وقد أيد هذه المعلومات الخبير والمعلق الإسرائيلي زئيف شيف فى دراسة حول « حرب تشرين » .

– لقد تجمعت لدى القيادة الإسرائيلية المعلومات التى تشير إلى احتمال نشوب الحرب بعد ساعات ، وبغض النظر عن حجم وأسلوب تحليل هذه المعلومات كما سنوقفه أمامه فى فصل قادم ، فإن ما يعنينا الآن أن قادة إسرائيل قد فركوا أيديهم نشوة وسعادة « فها هم أولاء العرب يسعون إلى مصيرهم بأنفسهم « وها هو ذا سلاح إسرائيل السرى – وهو سلاح واحد من أسلحتهم العديدة – سوف يحرق القناة بالجيش المصرى الذى سيحاول عبورها .

– « سوف يتحول الجنود المصريون إلى رماد » كما قال موشيه ديان. ستكون البداية المتلهبة على يد « السلاح السرى » فى « حل مشكلة الإسكان والمواصلات فى مصر بالقضاء على مليون جندى وضابط . . وبالتالى سيخفف الزحام على المواصلات ، وستتوفر الشقق الخالية لمن يريد السكن » (هذا أيضاً ما قالته جولدا مائير) .

– هذا ما تأهبت له إسرائيل . . وأرسلت من أجله المهندس ألبرت رحميم وزملائه

– وتلك هى الصورة التى توقعتها – بشكل مؤكد – بعد ساعات : القناة تحترق وجثث الجنـود المصريين تتفحم . .حتى الذين يقفون على بعد يصل إلى مائتين من الأمتار سوف يشويهم لهيب النيران المتدفقة كالكلاب المسعورة من مخازن ومواسير المازوت والنابالم .

. . ولكن . .ماذا كان على الجانب الآخر ؟

. . كيف خططت القيادة المصرية لانتزاع أنياب كلاب النار المسـعورة وتقييدها وحبسها فى مكانها ؟

. . كيف اطمأنت القيادة المصرية بتخطيطها والثقة فى أداء رجالها – إلى أن قواتها المسلحة لن تمسها نيران المواسير الممتدة من خزاناتها فى حصون بارليف إلى شاطئ القناة ؟

. . قبل أن أتحدث عن التخطيط المصرى لهذه الجولة « النارية » ، أدعوك صديقى القارئ إلى قراءة أخرى لهذا الخبر الذى تناقلته وكالات الأنباء وتحدث عنه المراسلون الحربيون فى أيام القتال الأولى . أدعوك لقراءته لأنه يرتبط – تماماً – بمهمة المهندس الإسرائيلى ألبرت رحميم .

– (قال الخبر : كان من أوائل الأسرى الإسرائيليين الذين سقطوا فى أيدى القوات المصرية : مهندس من سلاح المهندسين الإسرائيليين . وقد أسره المصريون بجوار أجهزة إشعال النيران على الضفة الشرقية للقناة حينما كان يحاول تشغيلها) .

– هل قرأت يا صديقى القارئ الخبر الموجز جداً .

– حسناً أرجو أن تنتظر منى تفاصيله الآن . . فحكايته كلها ستعرفها فى الفصل الخاص بالعمليات القتالية . فقط أقول لك : إن ملف العمليات الإسرائيلية ودراسة الخبير والمعلق الإسرائيلى زئيف شيف التزمت الصمت الكامل ولم تشر بعد ذلك إلى السيد / ألبرت رحميم أو مهمته ! !

ونعود إلى ما خطط له فريق العقول المصرية لهذه الجولة :

فى البداية اتجه التفكير إلى إعداد وسائل إطفاء هذه النيران الملتهبة حين يدفعها العدو فوق سطح المياه – وتم عمل تجارب عملية على ذلك فى أماكن شبيهة بالقناة واتضح أن عملية الإطفاء تحتاج إلى مجهودات ضخمة وأن النيران تظل مشتعلة حوالى نصف ساعة إذا لم يتم تزويدها بكميات إضافية من المواد الملتهبة ، وكان من المؤكد أن الإسرائيليين لديهم فى الخزانات كميات هائلة ، ويستطيعون دفع كميات جديدة كلما ضعفت النيران .

. . . إذن كان لابد من التفكير والتخطيط لحل آخر . وتوصلت القيادة المصرية إلى ضرورة إبطال استخدام هذه المواد قبل العبور ، وإذا حدث أن أخفقت القوات المكلفة بهذه المهمة فى تعطيل جميع المصادر ، فإنه يلزم التخطيط لعملية منع العدو من تغذية الحريق بكميات إضافية من المواد الملتهبة وذلك لتقليل الفترة التى تتعرض فيها القوات للحريق إلى أقل وقت ممكن .

. . . وقد بدأ العمل على الفور ، فصدرت الأوامر بالبدء فى استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذه المواد ، واتضح أنه يضعها (كما قلنا من قبل) فى خزانات كبيرة مدفونة تحت سطح الأرض حتى يصعب تدميرها بواسطة المدفعية ، وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير تحت سطح المياه لتندفع منها السوائل الملتهبة إلى سطح الماء .

. . . وبناء على هذه المعلومات الاستطلاعية الدقيقة وضعت القيادة خطتها كالتالى :

١ – تقوم مجموعتان من رجال الاستطلاع بالتسلل إلى الضفة الشرقية (قبل ساعة

الصفر بوقت كاف) وتتولى المجموعة الأولى سد هذه المواسير بتركيبة معينة من الأسمنت وبعض اللدائن سريعة التصلب ، وتقوم المجموعة التالية بقطع خراطيم الطلمبات الماصة الكابسة .

٢ – لو فشلت هذه المحاولة لسد المواسير وقطع الخراطيم تتولى مجموعة أخرى من رجال الصاعقة مهمة الاستيلاء بأسرع ما يمكن على هذه المستودعات ومنع استخدامها ضد قواتنا .

٣ – لم تتوقف العقول المصرية المخططة عند هذين الحلين ، بالأسلوب العلمى الدقيق والذكاء التخطيطى العميق ، استعدت للاحتمال الثالث ، فماذا لو فشل الحل الأول ولم يتم إغلاق مواسير اللهب ؟

وماذا لو فشل الحل الثانى أيضاً ولم يتم الاستيلاء على المستودعات ومنع استخدامها هنا يظل احتمال العبور تحت التهديد البشع لجحيم النيران التى أعدها الإسرائيليون ليحرقوا بها القناة ومن عليها ومن يقترب منها .

. . . طرح المخططون الفكرة الجديدة وتناولوها من كل جوانبها واستقروا عليها وكانت كالتالى :

– دراسة اتجاه الثيار فى القناة طول ساعات اليوم .

– اختيار قطاعات الاختراق بحيث تعبر القوات فوق التيار ، وبذلك تتفادى النيران العائمة فوق سطح الماء .

هكذا خططت العقول المصرية للجولة الثانية . . وقد أثبت سير العمليات بعد ذلك – وكما ستكشفه فصول قادمة ، أن فريق العقول المصرية قد سحق الفريق المضاد فى هذه الجولة سحقاً تامًّا .

« **ملحوظة تاريخية : للمقارنة** » كما سبق أن أشرت فى تحليلى لهذا المانع من اللهب واجه الألمان نفس المشكلة ولكن بحجم أقل بكثير جدًّا – فعندما ابتكر الإنجليز وسيلة إشعال سطح المياه ، ونشرت الأجهزة الخاصة بالحرب النفسية قصصاً كثيرة عن هذا المانع المبتكر والذى لابد أن يعبره الألمان فى هجومهم على إنجلترا .

عندئذ أجرى الألمان تجربتين فى فيكموند بنورماندى والأخرى فى إحدى البحيرات القريبة من بروسيا الشرقية . وصدرت الأوامر للخبراء الألمان بإجراء تجاربهم بمنتهى الدقة وبصورة واقعية إلى أقصى حد ، وفى محاولة التغلب على هذه المشكلة ، قام هؤلاء

الخبراء بتغطية أسطح قوارب العبور بأوراق الاسبستوس ، واستقلها الجنود فعلاً وتحركوا بها داخل منطقة حيث دفع الزيت على سطح مائها وتم إشعاله بالنار ، وكانت النتيجة أن احترقت القوارب واحترق الجنود وتحولوا إلى « رماد » .

والمعروف أن هتلر عندما وصلته هذه النتائج ، أصدر على الفور أوامره (فى (٩ / ١ / ٤١) بإيقاف الاستعداد لغزو إنجلترا .

الجولة الثالثة : فى مواجهة الساتر المانع الترابى :

انتقل فريق العقول المصرية إلى الجولة الثالثة من جولات حرب العقول ، وكان ميدان هذه الجولة هو الساتر أو المانع الترابى .

وقد حدد المخططون المصريون أسلوب تعاملهم مع هذا الساتر من خلال طرح عدة أسئلة كانت هى وأجوبتها كالتالى :

س : **هل يزال الساتر الترابى كلية ؟**

ج : إن زمن المعركة الذى يقاس بأجزاء من الثانية لا يمكن أن يسمح بذلك ، ثم إن حاجة القوات للعبور والانطلاق إلى سيناء لا تحتم الإزالة الكلية للساتر .

س : إذا كان الحل المنطقى هو فتح ثغرات أو ممرات داخل الساتر . . فكم ممر يتم فتحه . . وما كمية الأتربة التى يلزم إزالتها ؟

ج : تحتاج عملية العبور إلى فتح ٦٠ ممرًا فى الساتر على طول القناة وكل ممر يتطلب فتحة إزالة ما بين ١٥٠٠ متر مكعب و ٢٠٠٠ متر مكعب .

أى أنه لفتح ٦٠ ممرًا تصل كمية الأتربة المطلوب إزالتها أكثر من ٩٠,٠٠٠ متر مكعب

س : كيف يتم فتح هذه الممرات ؟

ج : للإجابة على هذا السؤال احتاج الأمر من أجهزة الإعداد والتخطيط إلى جهد ووقت كبيرين . فقد طرحت فى البداية فكرة استخدام المفرقعات فاتضح أنها لن تحقق النتيجة المطلوبة لسببين :

١ – سوف تتناثر الأتربة . . هذا صحيح . . ولكنها ستتراكم فى مكانها أو بالقرب منه مرة أخرى . . .

٢ – لستخدام المفرقعات معناه أن دائرة تأثيرهاستمتد لتغطى مساحة تصل إلى مائتى متر، ولمواجهة ذلك لابد من إخلاء هذه المنطقة من الجنود . . فكيف ذلك وهم لابد أن يكونوا متأهبين للعبور فى أسرع وقت ؟ ثم إن هذه المفرقعات سوف تحدث ارتباكاً على طول خط المواجهة إذ أنه سيكون من الصعب تمييز أصوات هذه المفرقعات من أية تفجيرات أو ضربات يوجهها العدو

س : هل يمكن استخدام الصواريخ أرض – أرض – وقنابل الطائرات لفتح الممرات المطلوبة ؟

ج : جاءت الإجابة من خلال ثلاثين تجربة على ساتر مشابه تماماً وكانت النتيجة سلبية .

. . طرحت أجهزة التخطيط والإعداد كل هذه التساؤلات وأجوبتها وانحصر التفكير فى المفرقعات أو أسلوب التفجير الذى لم يكن له بديل لدى أى خبراء فى أى مكان فى العالم (إلا القنبلة الذرية) .

. . لكن العقل المصرى أثبت قدرة مذهلة على الابتكار . . لقد تقدم ضابط مهندس شاب إلى قائده (فى منتصف عام ١٩٧١) وقدم له اقتراحاً باستخدام أسلوب التجريف بدلاً من التفجير أى استخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال جداً فى إزالة الأتربة (كما حدث بشكل أصغر فى بناء السد العالى) وتلقف المخططون فكرة الضابط الشاب ، وبدأوا على الفور فى تجربتها واستخدمت فى التجارب الأولى عدة أنواع من المضخات إلى أن استقر الرأى على استخدام النوع الألمانى (والطريف أن المسئولين فى ألمانيا الغربية عن المصانع المنتجة لهذه المضخات أبدوا دهشتهم لاهتمام مصر بوضع خطة كبيرة إلى هذا الحد لمواجهة الحرائق فى المدن والقرى ! ! .

هذا وقد أضاف العقل المصرى تعديلات إلى هذه المضخات النفاثة بحيث صارت قادرة على ضخ ٢٠٠ متر مكعب من المياه فى الساعة .

ومن خلال التجارب النهائية التى استمرت عامين تقريباً حدد فريق العقول المصرية خطتـه لقهر الساتر المانع الترابى . . وفتح الممرات العديدة داخله ، باستخدام هذه المضخات النفاثة مع المتفجرات المتتالية من أعلى إلى أسفل لاختصار الوقت بحيث يتم فتح الثغرة فى زمن يتراوح بين الثلاث والخمس ساعات .

. . . . . .

. . . . . .

ويبقى الآن السؤال الأخير أو المشكلة الأخيرة فى هذه الجولة ، ضد الساتر المانع الترابى .

إن من المستحيل أن تنتظر القوات ثلاث أو أربع أو خمس ساعات حتى يتم فتح الثغرات والممرات فى الساتر لكى تبدأ عبورها . . . إذ أن العدو سوف يتنبه وتكون أمامه الفرصة لتوجيه هجومه المضاد .

. . ثم إن عملية التجريف ذاتها واستكمالها بالتفجيرات وإعداد أماكن إقامة المعابر على الضفتين يحتاج إلى وجود أعداد من المقاتلين على الضفة الشرقية فى الوقت نفسه . .

يقول التفكير العسكرى البسيط ان الخطوة الأساسية الأولى هى عبور المشاة للقيام بالمهام التمهيدية وفى مقدمتها تأمين رؤوس الكبارى إلى أن تتدفق الدبابات والمعدات الثقيلة .

ولكن التفكير العسكرى نفسه سوف يطرح أكثر من سؤال :

١ – كيف يتسلق المشاة الساتر الشاهق بأسلحتهم ومعداتهم التى تزيد عن ٣٥ كيلوجرامًا ؟

٢ – كيف يستطيع هؤلاء المشاة التصدى لدبابات ومدرعات العدو لفترة قد تصل إلى يوم كامل (٢٤ ساعة) وذلك إلى أن يتم فتح الممرات فى الساتر وإقامة الكبارى لعبور القوات المصرية المدرعة ؟

وقد توصل فريق العقول المصرية للإجابة على هذين السؤالين لكى يكتمل بذلك التخطيط لعبور هذا المانع الترابى .

إن التدريب الشاق يصل بالمقاتل المصرى المترجل إلى المستوى الذى يمكنه من مواجهة مدرعات العدو بالصاروخ « فهد » المضاد للدبابات أو بالآر –بى – جيه ، أو بالقنابل المضادة للدبابات وهو بمساندة المدفعية والدبابات التى ستعمل من فوق مصاطبها فى غرب القناة يستطيع أن يواجه ويعطل أو يدمر الهجمات المدرعة الإسرائيلية . . لفترة كافية . . ولكن مهما كانت طاقة المقاتل . ومهما كان مستواه فإن تصديه (مترجلاً وبأسلحة قصيرة المدى) لدبابات العدو ومدفعيته الثقيلة لمدة ٢٤ ساعة مهمة صعبة للغاية .

ولهذا خططت القيادة لكى تتم إقامة المعابر وفتح الثغرات فى الساتر الترابى فى مدى زمنى لا يزيد عن عشر ساعات لتتمكن القوات المدرعة من اللحاق بالمشاة فى أقصر وقت .

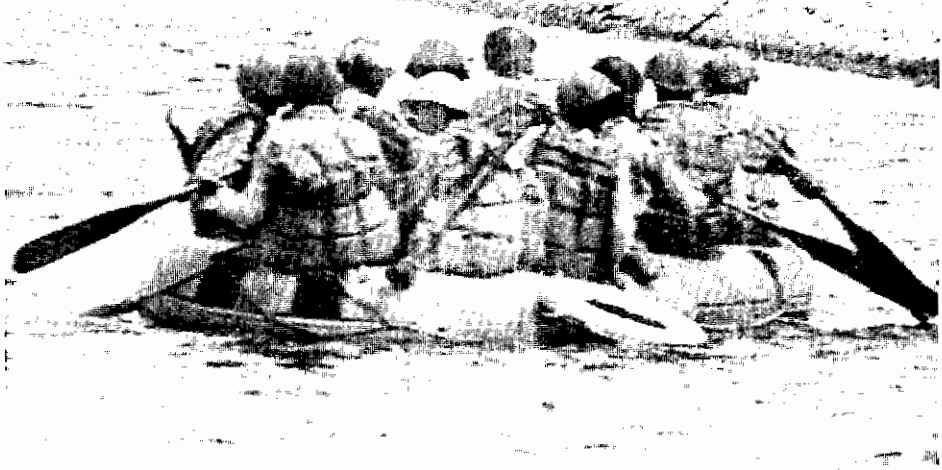

عبور أقسى
مانع مائى فى
التاريخ

تسلق الساتر الرملى الشاهق ، ثم
الاندفاع شرقاً ، واجتياح مواقع خط
بارليف

obeikandl.com

بالنسبة لمشكلة تسلق الشاة للساتر ، ابتكرت العقول المصرية تنفيذاً للتخطيط أنواعاً من السلالم (من أحبال معينة) كما أنه بالنسبة للمعدات والمدافع التى لا يمكن حملها ، استفاد المخططون المصريون من تراثهم الحضارى العريق ، فبعثوا من جديد عربة رمسيس الفرعونية . . وهى عربة جر صغيرة يجرها الجنود بأيديهم أثناء تسلقهم للساتر .

وقد أضافت العقول المصرية الرتوش الأخيرة لعملية مواجهة الساتر بالتنظيم الدقيق والرائع لعبور المشاة فى القوارب المطاطية فكان كل جندى يعرف مكانه فى قاربه ومكان العبور ووقته وواجبه أثناء العبور وبعده .

كما أن القيادة أرجأت مهاجمة النقط الحصينة إلى ما بعد استكمال عملية العبور وبالتالى أصبحت مهمة المشاة التسلل خلال خط بارليف وتأمين إقامة رؤوس الكبارى.

. . . . . .

هكذا خطط فريق العقول المصرية للجولة الثالثة وإذا كان الحديث عن نتيجة هذا التخطيط سوف يأتى بعد ذلك – فإننى أستشهد على نجاح العقول المصرية فى هذه الجولة هى الأخرى نجاحاً مذهلاً بما قاله خبير عالمى فى دراسة كبيرة عن حرب أكتوبر.

لقد قال الرجل :

إن المصريين توصلوا إلى طريقة جهنمية لبعثرة الساتر الترابى مما أكسبهم نصف الوقت » .

ويصف الكاتب بعد ذلك المشهد الأول للعبور فيقول :

اندفع ثمانية آلاف جندى مصرى إلى الضفة الشرقية لقناة السويس وتسلقوا السد الترابى وتوغلوا إلى الداخل بين حصون خط بارليف وتعتبر عملية العبور هذه بمثابة مناورة كان الجنود المصريون قد قاموا بها أكثر من ٦٠٠ مرة وقد اتخذوا من موقع جنوب مصر مسرحاً لتدريباتهم يشبه قناة السويس تماماً بل إنهم قاموا ببعض هذه المناورات التدريبية على قطاع القناة الذى يتفرع إلى ذراعين وكان جنود الموجة الأولى من العابرين يحملون على ظهورهم أنابيب غريبة الشكل وحقائب صغيرة تحتوى على الصواريخ الجديدة المضادة للدبابات وطبقاً للخطة الدقيقة التى وضعتها القيادة لم يحاول هؤلاء الجنود الاستيلاء على حصون خط بارليف وبلا توقف تجاوز الجنود التحصينات الإسرائيلية

وهم مسرعون ليتقدموا بجرأة إلى مقابلة المدرعات والمدفعية وكان هدف هذه الخطة هو القيام بحصار وصد الهجمات اليهودية المضادة الأولى وذلك بضربتهم بالصواريخ والأسلحة الصغيرة . إلى أن يتم لجنود الصف الثانى تشييد الجسور لمرور المدرعات والعتاد الثقيل »

الجولة الرابعة :

هل تطلق « قبضة إسرائيل الحازمة » فى وجه الجيش المصرى
أو يضعها المصريون فى « الجبس » ثم يبترونها ؟

هذا هو السؤال :

« ولم يكن أمام فريق العقول المصرية فرصة للتردد والحيرة كما فعل « هاملت » (بطل شكسبير) حين واجهته مشكلة لابد من حسمها .

وكما حدث بالنسبة للأسئلة السابقة والتالية . فإن المخططين المصريين وضعوا هذا السؤال أمامهم وقاموا بتشريحه . . وفحص كل جزئياته لوضع العلاج المناسب » .

ولكن لماذا وضعت أنا السؤال فى هذه الصيغة وما حكاية الجبس والبتر » ؟ !

باختصار شديد أحكى لك أيها القارئ العزيز قصة هذا السؤال فأثناء حرب الصبر والصمت التى أعقبت حرب الاستنزاف وبالتحديد فى مايو ١٩٧٣ كنت أواصل زياراتى للجبهة لتسجيل لقاءات مع الجنود والضباط ، وذات زيارة التقيت بجندى من الجيش الثالث تصورت فى البداية أن حالة اللاسلم واللاحرب قد نالت منه أو أن الدعاية الإسرائيلية الصاخبة قد أثرت فى استعداده وروحه المعنوية ولذلك وجدتنى أبدأ لقائى معه بسؤال مباشر . . قلت له :

أنت زهقت يا بطل من الانتظار . . واللا كده أحسن » .

لم أكن أتصور أن سؤالى سوف يستفزه إلى هذا الحد كما لم أتوقع أن تكون إجابته محددة حاسمة بهذه الصورة لقد تدافعت كلماته كطلقات رشاش متعطش للانطلاق قائلاً لى :

أولاً : « أنا أرفض الجزء الثانى من السؤال . . فهل تتصور أننا نفضل البقاء هنا فى خنادقنا . . على مواجهة العدو ؟ هل تتخيل أننا مهما طال الانتظار . . سنفقد الرغبة الحارقة فى تحرير كرامتنا وأرضنا ؟

ثانياً : قد أقول لك إننى أشعر أحياناً بالملل والزهق لكن التدريبات المستمرة والتطلع الدائم للحظة الإشارة ببدء الحرب يجعلنى أعتبر هذا الشعور وقوداً إضافياً لطاقة الثأر والانتقام » .

. . . . . .

– هكذا أجابنى الجندى محمود . . وقد ساد الصمت لحظات بعد انتهاء كلامه . . حتى اضطررت لإيقاف جهاز التسجيل لبضع دقائق ثم عدت أسأله أنا أشير إلى الضفة الشرقية للقناة حيث الساتر الترابى وخط بارليف .

– هل سمعت ما يقولونه عن خط بارليف ؟

فأجابنى على الفور :

تقصد « قبضة إسرائيل الحازمة » كما يصورونه ؟

قلت : نعم . .

* لمعت عيناه ببريق حاد . . وارتسمت ابتسامة رائعة على وجهه وقال لى : « ياسيدى . . إن شاء الله سنضع هذه القبضة الحاسمة فى الجبس . . كأى قبضة تتعرض للضرب بقطعة حديد ضخمة .

نعم . . سنضع قبضة إسرائيل الحازمة فى « الجبس » ثم « نبترها » بأسرع ما يمكن .

* ابتسمت للتشبيه الظريف والذكى . . وعدت إلى القاهرة مزوداً بأمل متجدد وأذكر أننى حينما أسمعت التسجيل لزملائى قبل إذاعته لمعت الابتسامة المتفائلة فى عيون البعض ، وعلقوا على ذكاء الإجابة بينما تمسك البعض الآخر بتشاؤمه وعدم ثقته فى استعدادنا لدخول حرب رابعة . . . حتى إنهم قالوا إن الإجابات (إجابات محمود) جاءت نتيجة تأثره بمحاضرات التوجيه المعنوى ليس أكثر .

. . . كان ذلك كما ذكرت فى مايو ١٩٧٣ . .

* ولم أكن أتخيل أن الحرب ستندلع بعد خمسة شهور . . وأن ما توقعه المقاتل محمود . قد حدث بالفعل . . فتم العبور والاقتحام وتراخت قبضة إسرائيل الحازمة تماماً تحت عنف الضغط المصرى ووضعها المقاتلون المصريون فى « الجبس » لمدة ساعات أو أيام محدودة . . ثم قاموا ببترها فعلاً .

وكانت واحدة من عمليات « التجبيس والبتر » التى تعرضت لها معظم أسلحة ومعدات وقواعد ونظريات إسرائيل .

• بارليف وخطه
الحصين جداً ! !

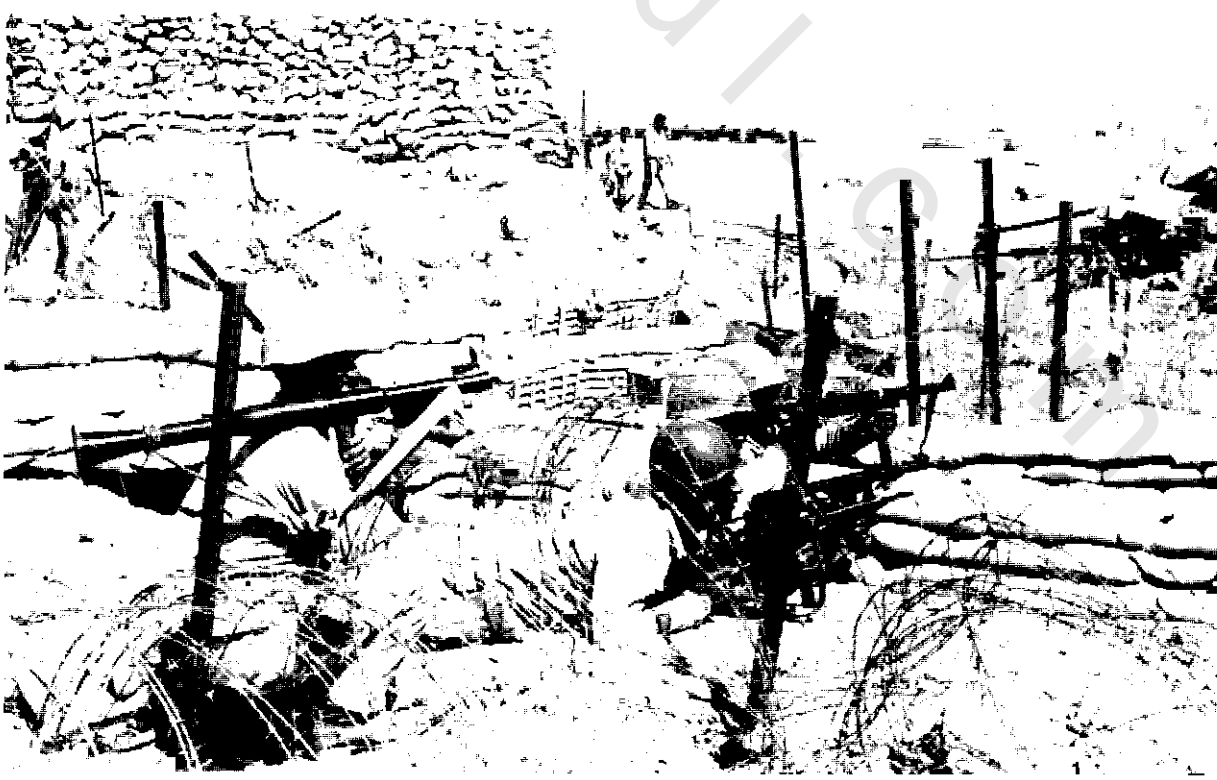

صديقى القارئ . . معذرة فقد استطردت قليلا . . وإن كنت أثق فى قبولك لهذا الاستطراد لأنه يشكل ملمحاً هاماً . . فى صورة هذه الجولة وغيرها من الجولات .

. . . . . .

وأدعوك الآن إلى زيارة سريعة لغرفة عمليات القوات المسلحة المصرية لنقرأ معاً كيف تم التخطيط لمواجهة خط بارليف . . قبضة إسرائيل الحازمة .

. . بنشاط متوقد عملت العقول المصرية فى التخطيط الدقيق لحرمان الجيش الإسرائيلى من أحد أركان نظريته الدفاعية . . بتعطيل خط بارليف أو قبضة إسرائيل الحازمة ، وقداستعرضت هيئة التخطيط جميع المعلومات التى أمرت بتجميعها وإعدادها .

١ – كانت القيادة قد عملت على مراقبة مراحل بناء النقط الحصينة طوال اليوم لا فرق بين ليل ونهار . وقد تم ذلك بالفعل ، وتم تصوير كل شىء عن الخـــط الحصين .

٢ – تم عمل سجل تاريخى تفصيلى لكل نقطة حصينة ، ويتضمن السجل جميع مراحل البناء والتكوين والقوة . . . إلخ

٣ – أعدت دراسة علمية عن قوة تحمل الدشم والملاجئ ، وأجريت الحسابات الدقيقة لكل شىء .

٤ – كأى خط دفاعى . . كان يتحتم أن تكون هناك نقاط ضعف فى التحصينات . . وقد تم رصد وتحديد ودراسة هذه النقاط .

٥ – توفر أيضاً أمام فريق العقول المصرية ما طلبه من معلومات محددة عن أوضاع وأحجام القوات الاحتياطية التى أعدها العدو فى الخط الثانى والثالث . وتم حساب الفترة الزمنية التى تستغرقها هذه الاحتياطيات المدرعة للانضمام والمساندة لقوات التحصينات والمعاقل .

* وضع المخططون المصريون أمامهم هذه المعلومات وغيرها مما لم يكشف عنه الستار بعد . . ومن واقع المناورات التدريبية العديدة التى قامت بها القوات على نماذج مطابقة لهذه التحصينات البارليفية ، تم عمل قياس دقيق لكفاءة الأداء ارتباطاً بعنصرى الوقت والحركة .

* كان أول سؤال طرحه فريق العقول المصرية أمامهم هو :

هل تتم مهاجمة هذه التحصينات من الأمام أو من الخلف أو من الأجناب ،

وقد استعرضوا جميع الاحتمالات واستقر الرأى على أن يكون الهجوم من المواجهة وعلى طولها لتحقيق أكثر من هدف : تضليل وخداع العدو ، وتشتيت جهده وإرباكه وحرمانه من إمكانية التنسيق بين التحصينات بعضها البعض وبينها وبين القوات المساندة ، مع ما فى ذلك من تحقيق عنصر المفاجأة .

* ويسبق ويواكب هذا الهجوم دور خاص للمدفعية التى تم تخطيط أسلوب وحجم عملها بناء على :

١ – تحديد الأعيرة القادرة على التأثير فى هذه المعاقل الحصينة بناء على دراسات علمية دقيقة للغاية

٢ – تحديد استهلاك الذخيرة اللازمة لسحق كل حصن أو لإسكات أى سلاح بداخله

٣ – تحديد الطريقة المثلى للرمى ، وأنسب خط مرور وأنسب اتجاه للرمى . . . . إلخ .

* وكان الدور الملقى على عاتق المدفعية فى هذه الجولة يتمثل فى النقاط التالية :

(ا) فى المدة التى تسبق اقتحام وعبور القناة ، تنفذ قصفة نيران قوية على جميع الأهداف (النقط الحصينة – الاحتياطيات – مراكز القيادة والسيطرة – بطاريات المدفعية) يتم فيها شل هذه الأهداف ومنعها من التدخل ضد القوات وخاصة المفارز التى ستدفع مع بداية التمهيد النيرانى فى الساعة الثانية وخمس دقائق بهدف الاستيلاء على المواقع المجهزة على عمق من ١ – ٣ كيلو مترات شرق القنـــاة لستر باقى القوات أثنـــاء الاقتحام .

(ب) فى المدة من لحظة اقتحام القوات الرئيسية للقناة (أى من الساعة الثانية ظهراً وعشرين دقيقة) تستمر المدفعية فى إسكات جميع الأهداف والقيام بتنفيذ مهمة تدمير أو تعطيل المنشآت الدفاعية الحصينة والقيام بفتح ثغرات موانع العدو على الضفة الشرقية من مواجهة النقط الحصينة ، مع استمرار توجيه الضربات لاحتياطيات العدو لضمان عدم تدخلها أو تحركها إلى التحصينات على ضفة القناة .

(ج) ضمان وصول القوات التى ستقتحم النقط الحصينة بالمواجهة أو من الأجناب والخلف (فى حالات طارئة ومحدودة) لتصل جميعها فى نفس الوقت الذى ترفع فيه المدفعية نيرانها من على هذه النقط بعد أن تكون قد نفذت مهملتها السابقة .

(د) الاستمرار فى قصف بطاريات مدفعية العدو لمنعها من إنتاج نيران مؤثرة على القوات المهاجمة . .

وتتضمن الخطة أيضاً ألا تضيّع القوات التى تمثل الموجات الأولى من الاقتحام جهدها ووقتها فى ضرب حصون بارليف بمجرد عبورها . وتحدد لمجموعات معينة من هذه القوات مهمة محاصرة هذه الحصون وشلها (أو إكمال شلها بعد ضربات المدفعية) ، بينما تندفع بقية القوات إلى الأمام لتدمير الاحتياطات المتأهبة فى العمق – فى الساعات الأولى وقبل أن تعبر المدرعات المصرية . وتشترك مع هذه القوات مجموعات الصاعقة التى يتم إبرارها فى توقيت معين .

* تلك كانت بعض التفاصيل التى تضمنتها الخطة التى وضعها فريق العقول المصرية لهذه الجولة التى كان ميدانها تحصينات خط بارليف أو قبضة إسرائيل الحازمة .

* وقبل أن ننتقل إلى جولة أخرى من جولات حرب العقول لنا أن نتساءل عن نتيجة هذه الجولة العنيفة التى توقفنا أمامها .

ولكى نرى كيف حقق فريق العقول المصرية نجاحاً فائقاً فى هذه الجولة أيضاً . نستشهد بما قاله واحد من أكبر الخبراء والمعلقين الإسرائيليين وهو زئيف شيف الذى قال فى وصفه لسقوط معاقل خط بارليف واحدًا بعد الآخر :

« لم يكن الناس داخل إسرائيل يعرفون حقيقة ما يدور على الجبهة فحتى يوم ٨ / ١٠ لم يكن المواطنون العاديون يعرفون أن خط بارليف لم يعد له وجود . .

إن معركة الصد لم يتحقق فيها أية نظرية من نظريات جيش الدفاع الإسرائيلى ، فالقوات التى كان يتعين عليها – حسب خطة بارليف – القيام بهجوم مضاد على الفور لم تتمكن من ذلك . . وهكذا أضاع جيش الدفاع الإسرائيلى قناة السويس » .

هكذا اعترف واحد من كبار المعلقين العسكريين الإسرائيليين بأن نتيجة الجولة الرابعة من حرب العقول . فى صالح المخطط المصرى . . وهناك الكثير والكثير من هذه الاعترافات والشهادات .

. . وهذا ما سنتحدث عنه فيما بعد . مع قصص الجنود الإسرائيليين الذين كانوا يشكلون مع تحصينات بارليف قبضة إسرائيل الحازمة التى تعرضت لضغط مصرى مخطط وعنيف فتراخت وتهاوت ثم وضعها المقاتلون المصريون فى « الجبس » و « بتروها » بعد أيام معدودات – كما توقع المقاتل محمود الذى أتمنى أن يكون من بين قراء هذه الصفحات .

« العدو » صورته : كيف يفكر ؟ ! كيف يخطط ؟ !

قبل أن نلتقى مع فريق العقول المصرى فى دراسته للعدو . . من حيث نوعية جنوده ، وتفكير وتخطيط قادته . . ما رأيك يا أخى القارئ لو توقفنا لحظات نتابع فيها بعض ما قاله قادة إسرائيل – لأنه بمثابة الشعاع الذى يلقى الضوء على منهج تفكيرهم وتخطيطهم . . خاصة وأن هذه الأقوال لم تكن غائبة عن أذهان المخططين المصريين !

. . . . . .

شعارنا : اهجم أولاً ، فالخسارة على أية حال ستكون أقل »

. . . . . .

. . . . . .

(توقيع)
القيادات المتعاقبة على جيش الدفاع الإسرائيلى

الجيش الثور :

« إن جيش الدفاع الإسرائيلى ليس كالقنفد الذى ما يكاد يرى الخطر حتى ينطوى على نفسه تحت ريشه وينتظر الضربة القادمة . ولكنه كالثور الذى ما إن يشعر باقتراب الخطر حتى يشحذ قرنيه استعداداً للهجوم إذ أنه لم يحدث قط أن وقف جيش إسرائيل فى وضع دفاع » .

(توقيع)
الجنرال موشيه ديان

علينا أن نهاجم دائماً :

دعونا نصر على ألا نقنع بالتكتيكات الدفاعية البحتة ، ولكن فى اللحظة المناسبة علينا أن نهاجم دائماً وعلى طول الخط ، ليس فقط داخل تخوم الدولة اليهودية أو حدود فلسطين ، بل إن علينا أن نسعى إلى سحق العدو أينما وجد » .

(توقيع)
دافيد بن جوريون

الرد الوحيد :

« إن اتباع سياسة دفاعية بحتة أمر من شأنه أن يسمح للخصم باختيار زمان ومكان وطريقة الهجوم على النحو الذى يريده ، وبالطريقة التى تناسبه وإن الرد الوحيد على ذلك إنما يكمن فى الأخذ بزمام المبادرة الشاملة من جانبنا ، أو بمعنى آخر ، القيام بهجوم مضاد توقعى إذا لزم الأمر وذلك بهدف تدمير القوات الضاربة الرئيسية للعدو » .

. . . . . .

. . . . . .

لا يوجد أحد :

« إن جيش إسرائيل لا مثيل له فى أصالته وعراقته وروحه المعنوية وقدسيته باعتباره يمثل صورة حية للبعث التاريخى والحروب المقدسة .

. . هل هناك جندى فى العالم يمكنه أن يضاهى الجندى الإسرائيلى ؟

بالتأكيد لا يوجد أحد . . »

(توقيع)
حاييم ليرمان
رئيس تحرير جويش كرونيكل

كيف درس فريق « العقول » المصرى تفكير العدو وتخطيطه ؟

بعد أن استعرض فريق العقول المصرى طبيعة الأرض بموانعها ، انتقلوا إلى العنصر الثانى من عناصر تقدير الموقف وهو : « العدو » ومن خلال التقارير التى نجحت المخابرات المصرية فى إعدادها عن طبيعة وتفكير وخطط العدو ومن خلال الخبرات المكتسبة من الحروب السابقة مع الإسرائيليين – حدد المخططون صورة تفكير وتخطيط فى النقاط التالية :

(ا) تعتمد إسرائيل فى بناء قواتها المسلحة على تعبئة الاحتياطى ، إذ أن عدد أفراد الجيش العامل أقل بكثير من التعدادالعام للجيش ، والمعروف أن مستوى الجنود والضباط

الاحتياطيين لا يقل عن مستوى الأفراد النظاميين نتيجة لاستمرار التدريب على مدار العام حيث يستدعى هؤلاء على فترات متقاربة لأغراض التدريب واستيعاب الأسلحة الجديدة والتعرف على من ينضم لوحداتهم من ضباط وجنود جدد .

ولهذا النظام إيجابيات منها :

١ – الاستفادة من هؤلاء الجنود والضباط الاحتياطيين فى الإنتاج الصناعى والزراعى (بما يتمشى مع ظروف إسرائيل كبلد صغير) .

٢ – إحساس الجميع بأنهم يتساوون فى أداء نفس المهمة كأفراد فى جيش الدفاع .

٣ – نتيجة لذلك يكون الأفراد العاديون فى الجبهة الداخلية الذين لا يتم استدعاؤهم امتداداً للجبهة العسكرية .

أما السلبيات فهى :

إحساس الجندى الإسرائيلى الاحتياطى بانتمائه لحياته المدنية أكثر وهو بالتالى يتعلق بالحياة ، ويطلب من حكومته أن توفر له فى حالة استدعائه أشياء كثيرة باهظة التكاليف ابتداء من الجاكتة التى تقى من الرصاص إلى الدبابة سميكة الدروع ، إلى الموقع المحصن تماماً إلى الطائرة التى تغطى رأسه . . . وهو لذلك قد يكون جندياً ماهرًا حين تتوافر له هذه الظروف والشروط ، فإذا لم يتوافر له بعضها قلت بالتالى كفاءته .

ومن هنا خطط القادة المصريون لإرباك نظام التعبئة الإسرائيلى بالمفاجأة ثم حرمان جنود جيش الدفاع من بعض ما تعودوا عليه .

(ب) الجندى الإسرائيلى – بشكل عام – يجيد استثمار ارتباك عدوه وتفككه . . لكنه يهتز كثيراً حينما يواجه عدوًّا متماسكاً مصمماً .

(ح) يتمتع الجندى الإسرائيلى بثقة كبيرة فى نفسه فهو (سوبرمان العصر . . والذى ينتمى إلى الجيش الذى لا يقهر) وقد جاءت هذه الثقة للجندى الإسرائيلى كنتيجة للحروب الثلاث التى دارت مع الجيوش العربية – وكسبها جيش الدفاع (وإن كان السبب فى ذلك – كل مرة – هو التقصير والأخطاء العربيـة) وقد برعت الدعاية الإسرائيلية فى ترسيخ هذه الثقة فى نفوس جنودهم الذين اطمأنوا تماماً لقدراتهم فى مواجهة الجندى العربى المتخلف الضعيف الجبان « المنسحب دائماً « . . . وقد اهتم

المخططون العرب بهذا الجانب فى الجندى الإسرائيلى بأن وضعوا خططهم لضرب ثقته فى نفسه وفى قادته بالعنف فى الصدام وتحقيق المفاجأة على أرض المعارك . . كما أنهم آثروا أن تظل فكرته عن الجندى المصرى كما رسمتها الحروب السابقة والدعايات الضخمة . . حتى تكون صدمته سبباً آخر فى فقدان ثقته بنفسه . إذ أنهم كانوا يعلمون جيداً أن الجندى المصرى – حين تتاح له الظروف المناسبة – سوف يكشف عن نوعيته الفذة التى لم يعرفها الجندى الإسرائيلى من قبل .

. . . . . .

. . . . . .

* هذا هو الجندى الإسرائيلى (السوبرمان . . الذى لا يقهر ! !)

* وهكذا خطط فريق العقول المصرى لوضع هذا الجندى فى حجمه الحقيقى وكشفه أمام نفسه وأمام العالم . ثم ضرب أحد جوانب نظرية الأمن الإسرائيلى . . بتدميره جسدياً أو نفسياً .

* وسوف يكشف سير العمليات كيف حقق التخطيط المصرى أهدافه .

* ولكننا كالعادة – ربما تشوقاً لمعرفة أى قدر من « النتيجة » ، نقرأ الآن على سبيل المثال – ما نشرته صحيفة هآرتس بقلم أكبر معلقيها :

الجنود الإسرائيليون نسوا أسماءهم :

قال المعلق الإسرائيلى الكبير : « لقد كانت حرب أكتوبر هى الحرب الأولى بالنسبة لجيش الدفاع الإسرائيلى التى يقوم فيها الأطباء بمعالجة عدد كبير جداً من الجنود الذين أصيبوا بصدمات نفسية فى المعارك . ولقد حدثت معظم هذه الصدمات منذ الأيام الأولى للحرب وبالذات فى مرحلة الصد عندما كان الجنود يفقدون الاتصال مع وحداتهم ، كما كان البعض يقاتل مع أطقم لا يعرفها إطلاقاً .

لقد كان بعضهم بحاجة إلى النوم والراحة .

وكان البعض الآخر بحاجة إلى علاج نفسى .

وكان هناك آخرون مما نسوا أسماءهم . . وكان يتحتم نقلهم إلى المستشفيات ،

. . وتكتمل هذه الصورة التى رسمها محرر الهآرتس الإسرائيلية ، لما جرى للجندى

الإسرائيلى بالتحليل الذى قدمه الخبير الأمريكى « ادجار أوبلانس » الذى يقول فى بحثه الشامل :

« لقد صدم الجندى الإسرائيلى عندما لم يعد يتقدم للأمام وهو واثق أن الجنود العرب سوف يقفون تلقائيًّا قبل أن يقترب منهم .

لقد وجد أمامه جنديًّا عربيًّا قويًّا قادراً على القتال والصراع العنيف ، قادراً على قتله أو أسره .

وسرعان ما أدرك الجندى الإسرائيلى أن الدفاع والاختفاء أصبح أمراً حيويًّا له إذا كان يريد البقاء على قيد الحياة .

ويضرب « ادجار اويلانس » مثالاً لهذا التحليل بالقوة الإسرائيلية التى تسللت إلى إلى الضفة الغربية من القنال ، وكيف كانت تعمل فى حذر وجبن مما كان يعتبر إلغاء لخفة حركة المدرعات » .

. . . . . .

. . . . . .

النظام العسكرى الإسرائيلى

– يقاتل الجيش الإسرائيلى وفقاً لأسلوب عسكرى معين ، حددته القيادة المصرية كالآتى :

١ – الاعتماد على الطيران الكثيف والمتفوق وذى المدى البعيد ، والقيام بعمليات قد لا تكون ذات قيمة عسكرية . . بقدر ما تكون استعراضاً للقوة بهدف الإرباك وهز الثقة فى النفس والسلاح . ولتحقيق عملية الردع إذا ماقررت إسرائيل إجهاض استعدادات العبور .

٢ – الاعتماد أيضاً على المدرعات إذ أنها تمثل نوعاً من الأمان لجنودهم وفى نفس الوقت تنتج وتقذف كميات كبيرة من النيران ضد أهدافها من أبعاد مختلفة ، بحيث يتم ذلك بسرعة الحركة والقدرة على المناورة والالتفاف والتطويق .

٣ – توجيه ضربات مركزة ومكثفة . . بحشود كبيرة ضد قوات محدودة لاستثمار النتائج إعلاميًّا ونفسيًّا .

٤ – إعداد قيادات عسكرية تجيـد حرب الذعر والحرب الخاطفة : . . حرب الذعر لإرباك القوات المعادية . . وتنمية الثقة فى جنودهم ، وحرب خاطفة تتناسب مع ظروف إسرائيل التى لا تسمح مواردها البشرية أو الاقتصادية بحرب طويلة وكذلك لتحقيق أكبر النتائج فى أسرع وقت وقبل تدخل قوى خارجية ، أو دخول دول عربية أخرى فى المعارك (شعار إسرائيل : « اهجم أولاً . . فالخسارة على أية حال ستكون أقل »)

– وبدراسة هذه الأركان لنظرية النظام العسكرى ، وبتحديد نقاط الضعف فيه توصل فريق العقول المصرى إلى الأسلوب المضاد الذى يهدم هذه الأركان .

(ا) إن الحرب الخاطفة لا تتحقق إلا إذا كانت المبادأة فى يد إسرائيل وهذا مايتم التخطيط وإعداد المسرح السياسى والعسكرى لحرمانها منه .

(ب) اعتماد إسرائيل على تفوقها الجوى . . من الممكن ضربه بشكل مؤثر (وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد) .

(حـ) نظرية الدفاع المتحرك الذى يعتمد على المدرعات التى تتحرك من العمق يمكن تعطيلها . . بكمائن المشاة المزودين بأسلحة مضادة للدبابات . . إلى أن تعبر الدبابات وتتولى بقية المهمة .

(د) بالاضافةإلى ضرب وتعطيل نظام التعبئة بعنصر المفاجأة . فإنه يبقى فى جعبة القوات المصرية إمكان ضرب القوات التى تعبئها إسرائيل وتدفعها إلى جبهة القناة . . حيث تمتد المسافة من داخل إسرائيل إلى القناة من ٢٠٠ إلى ٢٥٠ كم – ويتولى هذه المهمة ، الطيران ومجموعات من قوات الصاعقة وبديهى أن تحقيق المفاجأة يعنى خداع المخابرات الإسرائيلية وغيرها من المخابرات التى تنسق العمل معها .

(هـ) بالنسبة لاعتماد إسرائيل على مبدأ الحرب الخاطفة . . يتم التخطيط لإجبارها على دخول حرب طويلة بأخذ المبادأة والإعداد البشرى والعتادى والتكتيكى لجعلها حرباً طويلة ، وفى هذا استنزاف لطاقتها ومخزونها العسكرى (بشريًّا وماديًّا) وإرهاق لاقتصادها حيث ستتوقف معظم المصانع والمزارع نتيجة تعبئة الأيدى العاملة ، ثم لإعطاء الفرصة لدخول جميع الدول العربية إلى المعركة عسكريًّا أو اقتصاديًّا – ولعل المخططين كانوا فى هذه النقطة بالذات يحققون تعليمات الرئيس السادات الذى اتفق مع الملك فيصل ملك السعودية على ذلك حتى يمكن استخدام سلاح البترول وسلاح الأرصدة فى المعركة .

وأيضاً يتحقق بالتخطيط لجعلها حرباً طويلة . الفرصة للمجتمع العالمى والدول الصديقة للتدخل . . والضغط من أجل إنهاء الحرب بالشروط العربية وهى الجلاء عن الأرض المحتلة . . وإعادة حقوق شعب فلسطين الشرعية .

. . . . . .

. . . . . .

تلك هى الخطوط العامة التى توضح ما توصل إليه فريق العقول المصرى فى تخطيطه لمواجهة العدو . . أفراداً . . ونظاماً . . وأسلحة وعتاداً . . .

. . . . . .

ويبقى الآن أن نتوقف بشكل أكثر تفصيلاً أمام الأسس الثلاثة الرئيسية لنظرية الردع الإسرائيلى ، باعتبار هذه النظرية بمثابة العمود الفقرى لتفكير وتخطيط قادة إسرائيل – خاصة وأن الإشارة الضمنية لهذه الأسس أو الأسلحة الرئيسية فى نظرية الردع الإسرائيلى ، لا تعطى الصورة الكاملة التى يظهر معها حجم الإعداد والتخطيط الذى قام به فريق العقول المصرى .

. . . . . .

. . . . . .

الذراع الطويلة . .الرادعة :

لاشك أن حرب يونية ١٩٦٧ كانت حرباً جوية فى المقام الأول ، فقد بدأها سلاح الجو الإسرائيلى ، وهو أيضاً الذى حسمها إذ قام بضربة جوية مسبقة ناجحة لقواعد الطيران المصرى . وأخرجه من المعركة ، ثم قام بتمهيد الطريق لمدرعاتهم للعمل ضد القوات المصرية المحرومة من الغطاء الجوى .

وبغض النظر عن دور التقصير المصرى العربى فى إتاحة الفرصة لسلاح الجو الإسرائيلى لكى يحقق هذه الإنجازات الضخمة.بغض النظر عن ذلك فإن الطيران الإسرائيلى حقق لنفسه مكانة خاصة ، ولم يتحرج أى خبير عسكرى عن الإشادة والانبهار بالسلاح الجوى الإسرائيلى .

وانطلاقاً من هذه الثقة واصل الإسرائيليون تدعيم طيرانهم بعد أن تأكد لهم دوره الخطير والحاسم فى الاستراتيجية التى تقوم عليها نظرية الأمن الإسرائيلى .

وقد دخل سلاحهم الجوى فى معارك الردع فى الفترة ما بين ٦٨ – ١٩٧٣ .

– فى يوم ٢١ / ٣ / ٦٨ شنت إسرائيل هجوماً جوياً وبرياً ضد قواعد الفدائيين الفلسطينيين « فى الكرامة » وهاجمت الطائرات الإسرائيلية قواعد الفدائيين فى غور الأردن ، ومواقع المدفعية الأردنية فى منطقة « السلط » .

– وفى حرب الاستنزاف التى اندلعت على الجبهة المصرية (من ١٩٦٩ – ١٩٧٠) دخل الطيران الإسرائيلى أعنف معاركه . وقد استعرض قوته بعدة غارات فى عمق مصر .

– ومنذ عام ١٩٧١ وحتى ١٩٧٣ قامت الطائرات الإسرائيلية بغارات متعددة عنيفة على قواعد الفدائيين ومواقع المدفعية والمعسكرات السورية ، وقواعد الفدائيين فى جنوب لبنان .

. . صحيح أن الدفاع الجوى المصرى أخذ ينمو بسرعة مذهلة ، وصحيح أن ذلك أثمر فى أواخر أيام حرب الاستنزاف ، بإسقاط عدد من الطائرات الفانتوم الإسرائيلية . . حتى وصف الإسرائيليون أنفسهم تلك الأيام بأسبوع تساقط الطائرات . . . . صحيح ذلك كله . .

• لكن الصورة التى ارتبطت بالسلاح الجوى الإسرائيلى ظلت كما هى . . بل لعلها – بالدعاية الذكية والعمليات الاستعراضية والتدعيم المستمر زادت انبهاراً وأسطورية . . وأخذ قادة إسرائيل يتحدثون بالثقة الكاملة عن طيرانهم الذى وصفوه بذراع إسرائيل الطويلة التى تستطيع الوصول إلى أى بلد فى الوطن العربى الشاسع . . لتأديب العرب فى كل مكان . بمعنى أنه لم يعد هناك بلد عربى خارج متناول الطيران الإسرائيلى .

وهكذا كان على المخططين العرب أن يضعوا فى اعتبارهم هذه الحقائق :

١ – بعد تحول إسرائيل من الاعتماد على السلاح الفرنسى إلى السلاح الأمريكى أصبح لديها كميات كبيرة من طائرات « الفانتوم » و « سكاى هوك » والصواريخ الموجهة ، والتجهيزات والمعدات الإلكترونية الحديثة وأجهزة الردار – وبذلك أصبح الطيران الإسرائيلى متفوقاً بشكل أكبر ، كما أنه أصبح يمتلك الطائرات ذات المدى البعيد القادرة على حمل كميات كبيرة من القنابل والصواريخ باختلاف أنواعها وأشكالها .

٢ – بالإضافة إلى التفوق الكمى فى عدد الطائرات ، والتفوق النوعى للطائرات الإسرائيلية . . كان هناك التفوق النوعى الآخر لبعض الطيارين والفنيين الإسرائيليين والذى

تحقق من خلال البرامج التدريبية المتواصلة ، وبفتح مجالات اكتساب الخبرة فى فيتنام بمساعدة أمريكا – يضاف إلى هذا التفوق النوعى تفوق فى الكم يتحقق من هجرة مستمرة لأعداد من اليهود الذين كانوا يعملون فى مجال الطيران فى الدول التى كانوا بها قبل هجرتهم إلى إسرائيل .

٣ – نتيجة لحرب ١٩٦٧ أصبحت القواعد الجوية الإسرائيلية بعيدة عن مدى الطائرات المصرية .

٤ – دعم الولايات المتحدة الأمريكية للسلاح الجوى الإسرائيلى ، واستعدادها لتعويضه عن كافة خسائره فى الطائرات والمعدات والأعتدة والقنابل والصواريخ . . وذلك كله بغير حدود .

. . . . . .

. . . . . .

. . **إذن** كان الطيران الإسرائيلى يمثل بالفعل مانعاً أو عقبة لا يمكن تجاهلها فإمكانياته قد تسمح له بضرب محاولات العبور والاقتحام وإحداث خسائر فى الأرواح والمعدات والمنشآت . . كما أنه – فى نفس الوقت – يستطيع تهيئة الظروف المناسبة للمدرعات الإسرائيلية دون أن يتعرض لخسائر رادعة . ولعل ما يلخص هذه الصورة للسلاح الجوى الإسرائيلى ما جاء فى التحليل الأخير للمعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن ، وما جاء على لسان حايم هيرتسوج الرئيس السابق للمخابرات الإسرائيلية والمعلق العسكرى الذى يحتفظ بمكانة خاصة . ثم ما قاله وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر عندما علم ببدء القتال .

١ – . . قال تحليل معهد الدراسات الاستراتيجية الدولى بلندن فى سبتمبر ١٩٧٣ : « إن التفوق الجوى الإسرائيلى قد تدعم بدرجة كبيرة ، ولقد تلقت إسرائيل بصفة خاصة فى عام ١٩٧٣ ، ٣٥ قاذفة مطاردة جديدة من طراز (مكدونيل دوجلاس ١ – ٤ فى سكاى هوك) و ٥ طائرات (ف ٤ – س فانتوم) وبذلك أصبح مجموع ما لدى إسرائيل الآن هو ٤٨٨ مقاتلة قاذفة يتفوق أغلبها على طائرات الميج .

وإن من دواعى فخر إسرائيل أن لديها أفضل الطيارين فى العالم . . »

. . . . . .

٢ – . . ومن ناحية أخرى علق حايم هيرتسوج على المعركة التى دارت بين الطائرات

الإسرائيلية والطائرات السورية فى ١٣ سبتمبر من نفس العام والتى سقط فيها ١٣ طائرة سورية مقابل طائرة إسرائيلية واحدة مما جعل المعلقين يتحدثون فى إعجاب عن « السيادة الجوية المطلقة للطيران الإسرائيلى الذى ، يتلاعب بالأسلحة الجوية العربية » .

علق هيرتسوج على هذه المعركة بقوله :

« إن إسرائيل تحتفظ إذن بالتفوق الجوى ، وهو ما يعنى فى الشرق الأوسط التفوق العسكرى . وطالما ظل هذا التفوق باقياً فإن وقف إطلاق النار سيظل محترماً » .

. . . . . .

٣ – . . التقى وزير الخارجية الأمريكية هنرى كيسنجر بعد نشوب الحرب يوم ٦ أكتوبر مع وزير الخارجية المصرى وقتئذ الدكتور محمد حسن الزيات وقال له :

« ماذا نستطيع أن نفعل من أجلكم ؟ إن الطيران الإسرائيلى سوف يمزقكم إرباً إرباً فى غضون الأربع والعشرين ساعة الأولى من الحرب » .

* * *

تلك كانت صورة

ذراع إسرائيل الطويلة . . الرادعة . . فكيف قامت القيادة المصرية بالإعداد والتخطيط لمواجهتها ؟

لقد كان الإعداد والتخطيط لمواجهة ذراع إسرائيل الطويلة . فصلاً آخر فى ملحمة طوفان أكتوبر إعداداً وتخطيطاً وتنفيذاً .

ولقد درس فريق العقول المصرى كل شىء يتعلق بالسلاح الجوى الإسرائيلى حددوا نقاط القوة فيه . . وكشفوا نقاط ضعفه . ثم وضعوا خططهم الدقيقة للإعداد . . والتنفيذ . بهدف تقليص أو إلغاء نقاط القوة وتوسيع وتعميق نقاط الضعف لتكون المحصلة فى النهاية حرمان إسرائيل من أكبر أسلحة الردع عندها

وكانت الخطوط الرئيسية التى ركزت عليها الخطة كالتالى :

١ – مع الإعداد الهائل لزيادة فعالية الدفاع الجوى يمكن إقامة سد منيع ومنسق من الصواريخ المضادة للطائرات والأسلحة والمعدات الأخرى مع العمل فى نفس الوقت على حمايتها من التدمير ، وقد تم بالفعل إعداد شبكة الدفاع الجوى هذه وتعزيزها

بالعدد الكافى من الصواريخ الموجهة أرض – جو من نوع (سام ٢) للارتفاعات العالية « من ٢٥,٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠ قدم » ، ونوع (سام ٣) للارتفاعات المتوسطة « من ١٠,٠٠٠ إلى ٢٠,٠٠٠ قدم » ، ونوع (سام ٦) للارتفاعات المنخفضة « من ١٠٠٠ إلى ١٥,٠٠٠ قدم ونوع (سام ٧) الذى يحمله المشاة ، هذا بالإضافة إلى تعزيز فعالية وقدرة أجهزة الردار ، ووسائل الدفاع الجوى الأرضية التقليدية ومدها بالعدد الكافى من المدافع المضادة للطائرات (١٠٠ مم ، ٨٥مم) للارتفاعات العالية من ١٥,٠٠٠ إلى ٣٠,٠٠٠ قدم ، ومدافع ٥٧ مم للارتفاعات المتوسطة (من ٥,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ قدم) و ٢٣ مم ، ١٤.٥ مم الرباعى للارتفاعات المنخفضة .

ويضاف إلى ذلك أيضاً مدافع مضادة للطائرات ذات الحركة موجهة بالرادار عيار ٢٣ مم رباعية وأخرى ثنائية عيار ٥٧ مم .

– وبالطبع لم يكن الإعداد والتخطيط لشبكة الدفاع الجوى مقصوراً على توفير الأسلحة والمعدات والتنسيق بينها ، لأن ذلك لا قيمة له لو لم يكن هناك المقاتل الذى يفهم ويستوعب وينفذ ، خاصة وأن هذه الأجهزة والمعدات تتسم بقدر كبير من التعقيد التكنولوجى ، وقد تكفل التدريب المتواصل بحل هذه المعادلة ، وكان رجال الدفاع الجوى المؤهلون علمياً قادرين ليس فقط على الاستيعاب بل أيضاً على الإضافة والابتكار والجسارة .

٢ – كان الشق الثانى من عملية الإعداد والتخطيط لهذه الجولة (مع ذراع إسرائيل الطويلة الرادعة) يتمثل فى إعداد الطيران والتخطيط لمهامه التى سيقوم بها وهى :

(ا) توجيه الضربة الجوية الأولى بكثافة كبيرة مستهدفة ضرب مطارات وقواعد ومراكز قيادة وتجمعات العدو فى سيناء لإحداث أكبر قدر من الشلل للعدو وتأخير دخول سلاحه الجوى سماء المعركة حتى تكون الموجات الأولى قد قامت بالاقتحام والعبور فعلاً .

(ب) مساندة قوات الدفاع الجوى فى حماية الأجواء المصرية من قواعد ومطارات ومنشآت . . وأيضاً لإفشال محاولات العدو الجوية لضرب المعابر والقوات المتقدمة . وقد وضعت خطة كاملة للتنسيق بين الطيران والدفاع الجوى بحيث يعزف السلاحان سيمفونية واحدة متجانسة .

(جـ) مساندة القوات البرية فى تقدمها بضرب مدرعات وقواعد مدفعية العدو .

(د) مساندة القوات البحرية فى المهام التى تكلف بها .

. . . . . .

وإذا كان ما يعنينا الآن هو دور الطيران المصرى فى استكمال خطة الردع لسلاح الردع الإسرائيلى الأول ، فإننا يجدر بنا أن نتوقف أمام بعض ملامح الخطة التى وضعت من أجل قيام الطيران بمهامه :

١ – بذل جهود مضنية فى مجالات التدريب وإدخال التكتيكات الجديدة لرفع مستوى الكفاءة القتالية لرجال السلاح الجوى .

٢ – التأكيد المستمر للطيارين والفنيين على أهمية وخطورة دورهم فى الحرب المقبلة ، والواقع أنهم لم يكونوا بحاجة حقيقية لاستنفار طاقاتهم الحماسية والفنية ، إذ أنهم كانوا محاصرين دائماً منذ نكسة ١٩٦٧ بالإحساس بأن الضربة التى وجهت لسلاحهم ، وأخرجته من المعركة هى التى حققت لإسرائيل نصرها فى تلك الحرب ، وتسببت للأمة العربية فى نكستها المؤلمة ، ولعلنى أذكر هنا ما كان يقوله لى الطيارون فى زيارتى لقواعدهم أثناء وبعد الحرب عن إحساسهم بأن هذه الحرب فرصة لكى يأخذوا بثأرهم الشخصى والوطنى والقومى ، ويزيلوا ركام الغبار الذى لحق بسمعتهم ومكانتهم ، والذى أخفى فى سحبه السوداء ما قام به العدد القليل من الطيارين الذين تمكنوا من إنقاذ طائراتهم فى صبيحة ذلك اليوم ، ودخلوا معارك انتحارية مع طيران العدو .

٣ – إنشاء المزيد من المطارات الحربية فى مختلف أنحاء الجمهورية ، وإنشاء الدشم (الحظائر) الحصينة للطائرات وحمايتها بوسائل الدفاع الجوى الفعالة حتى لا يتمكن الطيران الإسرائيلى من تكرار الضربة التى قام بها فى ١٩٦٧ ، لكى تخلو له السماء فيمرح ويعربد فيها كيفما شاء .

٤ – وضع خطة دقيقة للعمليات ترتكز أساساً على سؤال واضح هو ماذا يستطيع الطيران أن يقوم به ؟ وماذا يكون خارج استطاعته ؟ كيف يكون ما يستطيعه فى موضعه تماماً وبأدق النتائج ، وكيف يمكن تجنب نتائج ما لا يستطيعه .

٥ – إضافة تحسينات معينة للطائرات ووسائل الدفاع الجوى المتاحة للقوات . . . هكذا خططت العقول المصرية لمواجهة ذراع إسرائيل الطويلة الرادعة ، وحيث إن نجاح هذا التخطيط سوف يظهر فيما بعد ، وحينما نتحدث عن العمليات القتالية فإننى أشير إلى هذا النجاح بشكل عام من خلال ما قاله الخبراء العالميون والقادة الإسرائيليون :

– فى اليوم الثانى من القتال – ٧/١٠/١٩٧٣ . . قال موشيه ديان فى كآبة ويأس :

« لقد استطاع المصريون تحييد سلاحنا الجوى . وإننى آمل أن يرسل لنا الأمريكيون الطائرات التى طلبناها » .

– وفى نفس اليوم قال البريجادير أورى دان:

« كان شعورنا فى مقر القيادة شعوراً مصيرياً مخيفاً . . لقد قام المصريون بالاستيلاء على جميع نقط خط بارليف عدا نقطة أو اثنتين قاموا بحصارهما .

. . كان شعورنا فى تلك اللحظات أننا نزداد ضآلة بينما المصريون يزدادون ضخامة »

– أما الخبراء العالميون . فقد توالت شهاداتهم . . تحكى كلها قصة انتهاء أسطورة سلاح إسرائيل الجوى . والحقيقة أننى لو سحلت كل ما قاله هؤلاء الخبراء لما اتسعت صفحات الكتاب كلها لهم ،

ولذلك فإننى أختار على سبيل المثال ما قاله أربعة منهم :

(ا) قال الجنرال « أنتونى فارارهوكلى » أستاذ التكتيك فى الجيش البريطانى :

« إن الطيارين المصريين أزالوا الدور الأسطورى للطيران الإسرائيلى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وبالتالى تضاءل دور المدرعات الإسرائيلية فى تحقيق أى نجاح خلال معاركها التصالحمية » .

(ب) قال الخبير الأمريكى روبرت هونز :

« إن الطيران ووسائل الدفاع الجوى المصرية والسورية استطاعت تخفيض القوات الجوية الإسرائيلية إلى النصف فى الفترة من ٦ إلى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وبنهاية هذه الفترة تضاءل نشاط الطيران الإسرائيلى إلى حد كبير وبعيد إلى أن بدأ الدعم الجوى الأمريكى بالطائرات والطيارين الأجانب » .

. . . . . .

. . . . . .

(جـ) ولعل ما يلخص « مأساة » ذراع إسرائيل الطويلة الرادعة – التى خطط لها بنجاح فريق العقول المصرية . . هو ما أدلى بها ضابط سويدى كان يعمل كواحد من مراقبى الأمم المتحدة ، لقد قال الرجل :

« إن كل تقاريرنا من جبهة السويس توضح أنه من كل خمس طائرات إسرائيلية يصاب منها ثلاث وتضطر الطائرتان الباقيتان إلى إلقاء حمولتها بطريقة عشوائية للفرار من سماء المعركة » .

. . . . . .

. . . . . .

(د) وأخيراً تستوقفنا هذه الصورة التى سجلها الكاتب الفرنسى جان كلود جيبوه والتى تترجم هى الأخرى ما حدث للطيران الإسرائيلى . . وكيف خطط المصريون لإيقاعه بين أنياب دفاعاتهم . .

يقول جيبوه :

« بعد ظهر يوم السبت ، بدأت طائرات الميراج والفانتوم والسكاى هوك محاولة قصف الجسور الممتدة على القناة ؛ وكانت المفاجأة تنتظرهم :

فإلى جانب الطرق المنحدرة حيث تم تثبيث الصواريخ سام (٢) وسام (٣) على طول خط قناة السويس والتى كان القادة الإسرائيليون يعلمون بوجودها ، استخدمت القوات المصرية صواريخ سام (٦) المحمولة على العربات وسام (٧) التى يستطيع الجندى أن يحملها على ظهره .

وقد اضطر الطيارون اليهود إلى محاولة الوصول إلى أهدافهم وسط غابة حقيقية من الصواريخ التى كان يطلقها المصريون بكميات هائلة ، وقد تحطمت عشرات الطائرات الإسرائيلية فوق هذه المظلة الحديدية الواقية للجيش المصرى »

* * *

هل حقًا الفخر كل الفخر للمدرعات » ! ! سلاح الردع الإسرائيلى الثانى ؟

* فريق العقول المصرى يواصل الإعداد والتخطيط

* وهو يتوقف الآن أمام السلاح الآخر الذى تعتمد عليه إسرائيل فى نظرية الردع – (والتأديب) .

* ولابد أن هؤلاء المخططين المصريين قد استعادوا كل ما قيل دراسة أو دعاية عن المدرعات الإسرائيلية .

* ومن الطبيعى أنهم وضعوا أمامهم صور الاستعراضات العسكرية الإسرائيلية (وآخرها أقيم فى ١٥ مايو ١٩٧٣ وفيها تظهر فى ساحة العرض مدرعاتهم التى ترفع شعار «الفخر كل الفخر للمدرعات» .

* و .... تفتح الملفات وتفرد الخرائط .. وينهمك فريق العقول فى العمل – إعداداً وتخطيطاً – من أجل ردع هذا السلاح هو الآخر ، وتوجيه الضربات إليه .. بحيث لا يستطيع أن يقوم بمهمته . وللدرجة التى تجعلهم يعيدون النظر فى شعارهم بعد ذلك .

. . . . . .

. . . . . .

ويستعيد فريق العقول المصرى كل شىء عن سلاح المدرعات الإسرائيلى ويركزون على دراسة هذه الجوانب :

– لقد حققت المدرعات الإسرائيلية لنفسها تفوقاً ملحوظاً جعلها تحظى باهتمام وإعجاب الكثيرين من الخبراء العالميين ، وهذا التفوق وليد رعاية خاصة من قيادة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التى تؤمن إلى أقصى حد بدور المدرعات إلى جانب دور الطيران (حتى إن ضباط الأسلحة الأخرى كانوا يتندرون بتدليل وتلبية رغبات قادة المدرعات والطيران فى شراء المزيد من الأسلحة والمعدات والأجهزة كلما ظهر شىء جديد فى هذه المجالات) كما أن هذا التفوق جاء أيضاً نتيجة ما أحرزته المدرعات من انتصارات فى الحروب السابقة (مرة أخرى أتحفظ هنا بالنسبة لشكل تلك الحروب مؤكداً أن الإهمال والتفتت العربى هو الذى أعطى هذه الانتصارات للقوات الإسرائيلية بشكل عام) .

* لم يكن من قبيل الصدفة أن حايم بارليف ودافيد أليعازر وآخرين من رؤساء الأركان الإسرائيليين كانوا أساساً من رجال المدرعات .

. . . وقد تحدثت دراسات عالمية عديدة عن المدرعات الإسرائيلية فقالت مجلة «أرمور» العسكرية الأمريكية :

«إن سلاح المدرعات الإسرائيلى من أقوى أسلحة المدرعات فى العالم» .

وفى تحليلها لهذه القوة العالمية للمدرعات الإسرائيلية ذكرت المجلة أرقام الدبابات والعربات والألوية المدرعة والميكانيكية التى يتكون منها سلاح المدرعات الإسرائيلى ، ووصلت فى النهاية إلى القول بأن ٧٨ ٪ من المدرعات الإسرائيلية متفوقة من حيث

القدرة على الحركة ومن حيث التسليح ، على الدبابات السوفييتية التى يستخدمها المصريون والسوريون .

. . ومن ناحية أخرى حددت تقارير عالمية (أمريكية) حجم المدرعات الإسرائيلية بهذه الأرقام :

١٠٠٠ ألف دبابة « سنتوريون »

٨٠٠ ثمانمائة دبابة « باتون » وم — ٦٠ » .

٣٠٠ ثلثمائة دبابة « سوبر شيرمان »

٤٠٠ أربعمائة (تاى — ٦٧ ، « ت ٥٤ و ٥٥ معدلة »

. . وبذلك تصل مجموعات الدبابات إلى ٢٥٠٠ ألفين وخمسمائة . فضلاً عن ٥٠٠ خمسمائة مدفع ذاتى الحركة و ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف عربة مدرعة .

* وقد ذكر هذا التقرير أن عدد الألوية المدرعة الإسرائيلية كان « ٢٠ » لواء بالإضافة إلى « ١٠ » ألوية ميكانيكية ، وأن هذة الألوية شكلت « ٨ » فرق ذات قوة أكبر من العتاد .

* هذا وتوزع المدرعات الإسرائيلية عادة على ألوية مدرعة مستقلة (بكل لواء كتيبتا دبابات ، وكتيبة مشاة ميكانيكية ، وكتيبة مدفعية ذاتية الحركة ، ووحدة مدافع مضادة للطائرات ، ووحدة أخرى مضادة للدبابات مجهزة بصواريخ « ا س ا س — ١١ » ، وعربات جيب مجهزة بمدافع ١٠٦ مم عديمة الارتداد ، ووحدة استطلاع ، ووحدة هندسة ، ووحدة إشارة — هذا كله مضافاً إليه وحدات الإخلاء والصيانة) .

* وأحياناً يتم تجميع الألوية داخل مجموعات قتال متفاوتة الحجم وفقاً للمهمة القتالية المسندة إليها ، وتعرف هذه المجموعات باسم Ugdas ولها عادة قوة الفرقة ، وهى تضم ألوية مدرعة ، وألوية ميكانيكية ، وكتائب مدفعية ، وأحياناً ألوية مشاة محمولة .

. . . . . .

. . . . . .

ومن خلال ما تقوله الكتابات الأجنبية الغربية ، يتضح أن الدبابات الإسرائيلية المزودة بمدافع ١٠٥ مم تتمتع بميزة بعد مرمى مدافعها بالقياس لمرمى الدبابات العربية المزودة بمدافع ١٠٠ مم ، كما أنها تستخدم ذخيرة حارقة للدروع من نوع أفضل من تلك التى تستخدمها الدبابات العربية (باستثناء دبابات ت — ٦٢ التى تتميز طلقتها الخارقة

للدروع من نوع Apedos بأنها ذات قوة أشد فى خرق الدروع من مسافة كبيرة ، وأفضل من ذخيرة السنتوريون والباتون و م – ٦٠ .

كذلك تقول هذه الكتابات إن الدبابات الإسرائيلية مزودة بأجهزة تحديد مدى من نوع أفضل لا يعتمد أساساً على التقدير البصرى للقائد مثلما هو الحال فى الدبابات العربية ت ٥٤ و٥٥ و٦٢ ، مثلا يوجد فى الدبابة «الباتون» مقدرة مدى تجسيمى ، وفى « م – ٦٠ » مقدرة مدى تطابقية ذات نظارة مفردة وفى « السنتوريون » رشاش متطابق المحور مع المدفع يطلق طلقات خطاطة .

* وتخلص هذه الدراسات إلى إثبات قدر ملحوظ من التفوق للدبابات الإسرائيلية على الدبابات المصرية والسورية .

* ويضاف إلى هذا التفوق فى نوعية وإمكانيات الدبابات الإسرائيلية ارتفاع مستوى تدريب أطقمها ، وقد حقق سلاح المدرعات الإسرائيلى خبرات تكتيكية فى العمليات الهجومية ، وخبرات فى إدارة العمليات المدرعة على نطاق واسع ، وما تتضمنه من حل مشكلات القيادة والتموين والصيانة وسرعة الحشد والحركة ، وذلك نتيجة للدروس العملية التى استقاها من حربى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . فضلا عما زرعته هذه الخبرات والانتصارات السابقة من شعور بالثقة فى نفوس جنود المدرعات سواء فى سلاحهم أو فى كفاءة قيادتهم .

– وقد اهتم فريق العقول المصرى بأبعاد هذه الثقة أو الغرور بشكل خاص ، كما ركز على أسلوب عمل المدرعات الإسرائيلية الذى تمسك فى حرب ١٩٥٦ وبداية حرب ١٩٦٧ باستخدام الدبابات ضمن إطار تكتيك ثنائى (الطائرة – الدبابة) وهو الإطار الذى يهدف إلى إحداث خرق مدرع مكثف خاطف فى نقطة ضعيفة من الخط الدفاعى المعادى ، مستخدمة تكتيك الاقتحام بالنيران والحركة تحت حماية ودعم الطائرات التى تقصف مواقع المدفعية والمشاة المعادة قصفاً قريباً يعقبه اختراق فى عمق أرض العمليات يستهدف تطويق مواقع القوات المدافعة ، وقطع خطوط مواصلاتها وتدمير مراكزها الإدارية والقيادية ، ومن ثم تحطيم معنوياتها وإشاعة الارتباك فى قيادتها ودفعها إلى الفرار أو الاستسلام .

وهذا التكتيك هو ما عرف بالحرب الخاطفة وقد طبقته إسرائيل فى حرب يونية ١٩٦٧ وحققت به نجاحاً كبيراً أعماها عن حقيقة الظروف الخاصة جداً والتى أتاحت لها

هذا النجاح ، وجعلها تتخلى عن أحد أسس عملها (وهو التحرك دون مساندة مستمرة من الطيران والمدفعية والمشاة معتمدة على أنها تستطيع أن تتلقى من الطيران دعماً مباشراً كلما واجهتها بعض المشاكل فى التقدم السريع فى عمق أرض العمليات) .

وهكذا أصبحت المدرعات الإسرائيلية تمارس أسلوباً قديماً لم تعد الظروف تسمح به حيث تقوم بمفردها بمهام الجيش الميكانيكى المتكامل (أى تقوم بمهام المشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة) .

إن هذا الاستخدام إحياء لدور الفرسان الخفيفة التى كانت تطارد عدواً مهزوما فى الحروب القديمة .

. . . . . .

. . . . . .

تلك كانت بعض ملامح الصورة الدقيقة التى وضعها فريق العقول المصرى أمامه للمدرعات الإسرائيلية . . وانهمك فى تحليلها . . واستخراج جوانب الضعف فيها وتحديد جوانب قوتها . . ثم كان الإعداد والتخطيط لهذه الجولة :

* * *

« إذا كانت المدرعات الإسرائيلية تتمتع بتلك المزايا التى جعلت خبيراً أمريكيًّا يقول إنها واحدة من أقوى المدرعات فى العالم ، فإن الفرصة ستكون سانحة لها تماماً فى الساعات الأولى من المعارك حيث إنها ستواجه المشاة العاديين . . الذين لا تحميهم دروع الدبابات والمصفحات ولا تتوافر لهم إمكانية إنتاج القدر الهائل من النيران . ستكون الفرصة سانحة لكى توجه المدرعات الإسرائيلية ضربة قوية تحقق بها أول مراحل مهمتها ، وتكسب فى نفس الوقت هالات جديدة من الدعاية ويتحقق لها الفخر كل الفخر » .

فكيف يحرم سلاح المدرعات الإسرائيلى من هذه الفرصة ؟ بل كيف يتحول هذا الموقف إلى ضربة توجه لهذا السلاح ، فتهز ثقته وتفقده بالتالى أحد مقوماته !

اطمأن المخططون المصريون إلى إمكانية تحقيق ذلك . . بتوفير الظروف التالية :

١ – المزيد من التدريب والإعداد للمشاة الذين سيشكلون الموجات الأولى من الاقتحام ، وبالتالى سيكون عليهم التصدى لمدرعات العدو . وبث الثقة فيهم بأن الدبابة ليست بالشبح الذى لا يمكن للفرد المسلح التغلب عليه بل إنها تصبح هدفاً سهلاً إذا ما استخدم الفرد سلاحه جيداً واحتفظ بهدوئه ورباطة جأشه . . وأجاد فى نفس الوقت

استخدام واختيار الأرض المناسبة !

٢ – تزويد هؤلاء المشاة بمختلف الأسلحة الحديثة المضادة للدبابات مثل صواريخ ساجر وسنابر بالإضافة إلى الأسلحة القديمة التى يعوض تخلفها مهارة الجنـــدى وشجاعته .

٣ – مساندة المشاة بالمدفعية التى تعمل من الغرب (إلى أن تعبر بعـــد إقامة الكبارى) .

٤ – أيضاً . . كان للدبابات التى أعدت لها القوات المصرية مصاطب فوق الساتر الذى أقامته على الضفة الغربية دور فى التصدى للمـــدرعات الإسرائيلية التى تقترب من القنـــاة .

٥ – فى نفس الوقت كان يربض عدد من جنود المشاة فوق هذا الساتر الغربى بصواريخهم لتغطية العبور بالمشاركة فى ضرب الدبابات الإسرائيلية القريبة.

٦ – ولكى يبدأ انتزاع الثقة مبكراً من نفوس أطقم المدرعات الإسرائيلية خططت القيادة المصرية لدفع كمائن من قوات الصاعقة التى يتم إبرارها فى عمق سيناء لضرب المدرعات المندفعة من الخلف باتجاه القناة . فى الوقت الذى تتولى فيه كمائن المشاة الذين يعبرون فى اللحظات الأولى اصطياد المدرعات التى تربط فى عمق خطوط بارليف (ابتداء من القناة إلى اثنى عشر كيلو متراً شرقاً) .

٧ – اعتمدت العقول المصرية أيضاً فى تخطيطها على حرمان المدرعات الإسرائيلية من الدعم الجوى الذى تطمئن إلى سرعة تلبيته ، ويتأتى ذلك كإحدى نتائج الضربة الجوية الأولى التى يقوم بها الطيران المصرى لمطارات وقواعد العدو فى سيناء .

٨ – ما دامت المدرعات الإسرائيلية قد وقعت فى خطأ ممارسة دور الدبابات كفرسان خفيفة ، واعتباره أساس أسلوبها فى حرب الحركة السريعة ، فإن التخطيط يستمر فى حـرمانها من الظروف الاستراتيجية التى تتيح لها ذلك ، بالمقاومة العنيدة والمنظمة كما اتضح فى النقاط السابقة . وهى حين تحاول تغيير أسلوبها ستفقد الكثير من قوتها كما أن الاستمرار فى ضرب وسائل التدعيم التى ستلجأ إليها كالمدفعية والطائرات . . يزيد من ارتباكها ليتحول الغرور الكبير إلى انهيار كامل .

. . هكذا كان مسار تفكير القيادة المصرية فى إعدادها وتخطيطها لمواجهة المدرعات الإسرائيلية . . وإذا كانت الفصول الخاصة بسير العمليات ستوضح كيف نجح هذا

الإعداد والتخطيط المصرى . فإننى – مثلما حدث فى الأبواب السابقة – أشير على عجل إلى بعض ما قاله الإسرائيليون وغيرهم عما حدث لسلاح المدرعات الإسرائيلى .

. . . . . .

قال زئيف شيف الخبير الإسرائيلى :

كانت إصابات رجال المدرعات كبيرة ، وخلال القتال كان يظهر قادة صغار يحلون فى القيادة مكان القادة الذين قتلوا أو جرحوا ، وكان هناك رجال دبابات لم يغمض لهم جفن تقريباً منذ بداية الحرب .

. . وفى فرقة أبراهام آدن فقد طاقم إحدى الدبابات قائده الذى تدرب وعمل معه لمدة سنتين ، وبينما كان رجال الطاقم فى طريقهم بعد أن نقلوا جثة قائدهم إلى محطة التجميع ، صعد إلى الدبابة قائد جديد ، وقبل مرور ساعة قتل هو أيضاً ، وعادوا مرة أخرى ، ولم يصدق الرجال فى محطة التجميع ما رأوه عندما شاهدوا الدبابة تعود مرة أخرى وهى تحمل جثة القائد الثالث ، وقد رفض الطاقم المذهول العودة إلى دبابتهم بعد ذلك حتى جاء إليهم قائد الفرقة أبراهام آدن بنفسه » .

. . . . . .

. . . . . .

وقال قائد إحدى سرايا المدرعات . . الضابط باروخ شمير :

« نظرت حولى فشاهدت قذائف نارية مشتعلة ترقص فى الجو وهى فى طريقها إلى إلى دباباتنا القريبة منى : لم أفهم بعد ماذا يحدث .

ولكنى فهمت فى وقت لاحق أن هذه صواريخ ، وأن المشاة المصريين ، الواقفين ، أمامنا لا يقلون خطورة عن الدبابة . ، كان هذا بالنسبة لى مفاجأة تامة ، وطوال ذلك اليوم كنت أشاهد هذه القذائف النارية تتنزه فى الصحراء وهى تنطلق من قلب الرمال . . اشتعلت النار فى دبابتى هى الأخرى . . قفزنا منها . . كنا مذهولين ، بكى رجل المدفع . كنا لا نزال لا نفهم ماذا يحدث . . لم أكن أعرف أن هذا الصاروخ الغامض يولد موجة من الحرارة تزيد عن ١٠٠٠ درجة مئوية وأنه يدمر أجهزة الدبابة ويحرق كل من بداخلها .

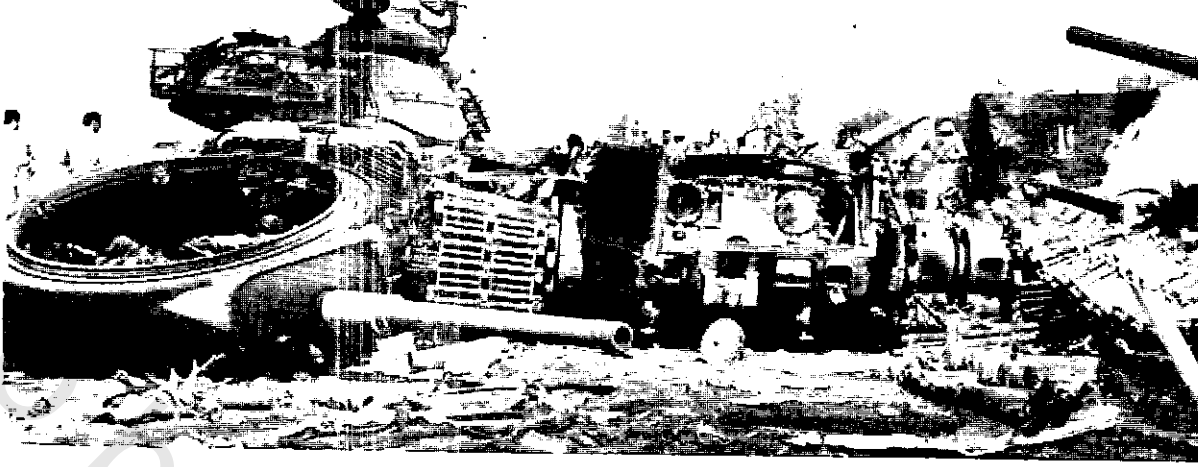

مدرعات إسرائيلية تم تدميرها فى كمائن نصبها المشاة
المصريون الذى يظهر بعضهم فى الصورة الثالثة

. . ولم يكن حظ الدبابات الأخرى فى السرية بأوفر من حظنا ، فعندما نظرنا من خلف التلال الرملية ، شاهدنا مشاعل محترقة . . كانت هذه – فيما مضى – دبابات السرية . .

. . وخلال ربع ساعة بدأ رجال المدرعات الذين قدر لهم النجاة بأنفسهم أن يسمعوا صفير رجال الكوماندوز المصريين الذين بدءوا يمرون أمامنا متجهين نحـــو الشمال الشرقى .

فحاولنا أن نهجر المكان ولم نستطع أن نحمل معنا الكثير من أشيائنا لأن أيدينا كلنا كانت محترقة . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . **ثم يستوقفنا الكاتب الأمريكى « كنث براور» الذى يقول :**

« فى نهاية يوم ٧ أكتوبر لم يكن لدى إسرائيل سوى ٩٠ دبابة من أصل ٢٥٠ دبابة كانت لديها فى الخطوط الأمامية ، وكانت هذه الدبابات التسعون مصابة بشدة . . وكان رجالها منهكين » .

. . وأخيراً . ونظراً للتكامل والتنسيق بين سلاحى الردع الرئيسيين (لجيش الدفاع الإسرائيلى ، هذه صورة دقيقة تجمع بينهما « قبل » . . « وأثناء حرب أكتوبر . . يسجلها بقلمه الخبير العسكرى المعروف « ادجار أوبلانس » الذى يقول :

« فى إطار نظرية الهجوم كان الطيارون الاسرائيليون ، وقادة الدبابات قبل أكتوبر ١٩٧٣ يعدون أهم الرجال ، وينظر إليهم باعتبارهم الأبطال ذوى الأدوار الحربيـة المجيدة ، فكان الطيارون منذ حرب ١٩٦٧ يعتبرون الصفوة المختارة ، بينما اكتسب رجال المدرعات شهرة فرسان العصور الوسطى . .

. . وحدث فى الأيام الثلاثة الأولى لحرب أكتوبر ١٩٧٣ على الجبهة المصرية أن قام قادة الدبابات الإسرائيلية ، شأنهم شأن الفرسان المدرعين القدماء – بشن هجوم فائق السرعة على المشاة المصريين الذين عبروا القنال ، وذلك فى محاولة لإرهابهم وإجبارهم على الفرار إلى حيث جاءوا .

هاجم فرسان المدرعات الإسرائيليون بلا هوادة . هاجموا بمختلف التشكيلات

بالفصائل ، بالكتائب ، وبالألوية . .

ولكنهم كانوا يفشلون فى كل مرة ، ويصابون بخسائر جسيمة حتى إنه دمر لهم أكثر من ٢٥٠ دبابة على أيدى المشاة المصريين الذين صمدوا فى الصحراء المكشوفة ومعهم الصواريخ والقذائف المضادة للدبابات .

وعند ذلك أدرك الإسرائيليون – بعد أن تكبدوا هذه الخسائر – أن وضعهم الهجومى (المدرع) ليس إلا عملاً انتحاريًا .

وبالنسبة للجو حل بالإسرائيليين نفس المصير ، إذ تمكنت وسائل الدفاع الجوى المصرية من إسقاط ما يقرب من ٤٠ طائرة فى أقل من ساعتين ، مما جعل سلاح الطيران الإسرائيلى يسارع بوقف كافة العمليات فترة من الوقت . ولم يعمل الطيارون الإسرائيليون من جديد إلا حينما وصلت إلى إسرائيل على وجه السرعة وسائل إلكترونية مضادة من أمريكا وقد تم نقلها على متن طائرات العال الإسرائيلية .

. . ومرة أخرى تبين للإسرائيليين أن الاستراتيجية الهجومية (من الجو) عمل انتحارى . .

. . وهكذا فشلت الاستراتيجية الهجومية الإسرائيلية براً وجواً .

* * *

– المخابرات الإسرائيلية (المدعمة) وتضاؤل فرص « المفاجأة » :

* ورثت إسرائيل – منذ ظهورها – جهازاً ضخماً للمخابرات ، يضم عدداً كبيراً من العملاء اليهود الذين كانوا يعملون لحساب أجهزة مخابرات الدول التى كانت وما زالت تأويهم أوضدها على حد سواء .

* والواقع أن أجهزة المخابرات الإسرائيلية قد بلغت – قبل حرب أكتوبر – أقصى درجات الإعداد والكفاءة ، وكانت القيادة الإسرائيلية حريصة دائماً على تطوير منظمات مخابراتها الخمس (أربع منها تعمل فى مختلف المجالات والخامسة تختص بالتقديرات الاستراتيجية ، والمعروف أن المخابرات العسكرية تأتى فى مقدمة هذه المنظمات الخمس) .

* ولو كان الأمر مقصوراً على مخابرات إسرائيل لكانت مهمة تحقيق عنصر المفاجأة بالمحافظة على سرية الإعداد والتوقيت للحرب ، نوعاً من التحدى غير المستحيل .

* لكن إسرائيل لم تكن تعتمد فقط على مخابراتها الخاصة . إن هناك نوعاً من التعاون يصل إلى حد التنسيق بينها وبين أجهزة المخابرات الأمريكية ومخابرات حلف الأطلنطى (وقد أكد ذلك أكثر من دليل قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر . . فقبل الحرب ظل الاتصال مستمراً بين المخابرات الإسرائيلية والمخابرات الأمريكية – التى لاحظت فى يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣ بفضل محطة التجسس الإلكترونية التى أقامتها فى إيران ما يشير إلى استعداد العرب للحرب) .

كان الاتصال . . يتمثل فى تبادل المعلومات . . وتبادل تقييم هذه المعلومات .

أما أثناء الحرب فقد ظهر هذا التنسيق حين اكتشفت القوات السورية فى موقع جبل الشيخ الإمكانيات الرهيبة للمرصد الإسرائيلى الموجود فيه والذى اتضح أنه يخدم حلف الأطلنطى ، كما ظهر هذا التنسيق واضحاً أشد الوضوح حينما قامت طائرتان استطلاعيتان أمريكيتان باختراق المجال الجوى المصرى . . والتقاط صور عديدة للمواقع المصرية قدمتها أمريكا (مع الصور التى التقطتها أقمار التجسس) إلى إسرائيل مع نصيحة مخلصة باستغلال ما كشفت عنه الصور لتحقيق الثغرة .

* يضاف إلى ذلك ، أن التقدم العلمى المذهل الذى وضعت أمريكا ثماره على مائدة الإسرائيليين . . يجعل عملية التمويه والإخفاء والخداع عملية مستحيلة فكما اتضح من المثال الذى ضربته مدللاً على التنسيق بين مخابرات إسرئيل ومخابرات أمريكا – وصلت وسائل الرصد والتجسس المتمثلة فى الأقمار الصناعية ومحطات التصنت الإلكترونية إلى حد الإعجاز حتى انه أصبح من المستطاع تصوير أصغر الأشياء حجماً على الأرض (علبة سجائر مثلا) وبشكل واضح جداً ، كما أصبح ميسوراً الاستماع وتحديد مكان أى صوت حتى إن قادة إسرائيل قالوا فى معرض حديثهم عن إمكانياتهم فى التصنت والرصد « إنهم يرصدون تحرك طائرة على أرض أبعد مطار فى عمق مصر – بل إنهم قالوا إنهم يسمعون دبيب النملة على الأرض المصرية » .

. . . . . .

سؤال :

ألا تشكل هذه الإمكانيات الموضوعة فى خدمة الجيش الإسرائيلى فى مجال المخابرات والاستطلاع – مانعاً يصعب تجاوزه .

إننى لا أبالغ إذا ما قلت إن مواجهة المخططين المصريين العرب لهذا المانع . وانتصارهم عليه (كما سيظهر بعد ذلك) كان وسيظل شاهداً على عبقرية التخطيط والإعداد التى لم يتصورها أحد .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

* **حرب العقول تصل إلى ذروتها . .**

* **أخطر وأكثر جولات الحرب العقلية إثارة وذكاء ! !**

* **المفاجأة . . هل تتحقق ؟ !**

فى مواجهة المخابرات الإسرائيلية بقوتها وإمكانياتها الضخمة التى تتصاعد عشرات المرات بالتنسيق بينها وبين المخابرات الأمريكية وغيرها من المخابرات الأوربية . . كما أوضحت فى الصفحات السابقة ، بدأت أخطر وأكثر جولات الحرب إثارة وذكاء .

وبادئ ذى بدء يهمنى أن أحذر من تركيز الكتابات الإسرائيلية على عنصر المفاجأة باعتباره سبب « الكارثة التى ألمت بإسرائيل » و« الطوفان الذى اجتاحها »

. . .فقد يكون فى هذه الكتابات اعتراف واضح وصريح للذكاء والدهاء المصرى . . . . وشهادة تاريخية للمخابرات المصرية . .

ولكن . . أن يعلق الإسرائيليون أسباب « نكبتهم » وهزيمتهم على مشجب « المفاجأة » وحدها . . فإن ذلك يحمل فى طياته تخطيطاً خبيثاً للتقليل من قيمة إنجازات وبطولات المقاتل المصرى . . ولتبرير انهيار الجيش الإسرائيلى الذى قالوا إنه لا يقهر .

إنها بالفعل مفاجأة . . لكنها – نتيجة للتقدم العلمى والتكنولوجى المذهل – لا يمكن أن تكون مفاجأة كاملة . . فهذا النوع من المفاجآت الكلية لم يعـــد له وجود فى هذا العصر .

* وبتحديد أكثر . . أقول . . إن توقيت الحرب لم يكن مفاجأة مائة فى المائة ، ويكفى للتدليل على ذلك ما نشرته صحيفة معاريف المسائية قبل الحـرب بساعات « إن تسهال ترقب عن كثب كل ما يدور على الجانب المصرى من قناة السويس . .

ولقد اتخذت كافة الإجراءات لتفادى وقوع هجوم مفاجئ » .

– وأيضاً لم تكن الأسلحة والمعدات والتشكيلات . . مفاجأة بنسبة ٥٠ ٪ . .

. . بل إن الجندى المصرى لم « يكن » مفاجأة هذه الحرب « كما قال رئيس الأركان الإسرائيلى أليعازار وغيره من قادة إسرائيل ، وبعض الخبراء العالميين ، لأن هذا القول يدل على قصور فى الرؤية وعجز عن استقراء تاريخ الجندى المصرى . . – وكان أحرى بهم أن يقولوا إن هذا الجندى حينما أتيحت له الظروف الملائمة كشف عن قدراته وجرأته بعكس ما حدث له فى الحروب السابقة .

. . . . . .

أخيراً . . وقبل أن ننتقل إلى الجهود الهائلة المتشعبة التى قامت بها القيادة المصرية من أجل تحقيق المفاجأة – بأقصى حجم يسمح به العصر – أود أن أقول دون أن يكون فيما أقول تكرار أو إلحاح بمعنى واحد . .

– إذا كان من الصعب – الذى يصل إلى درجة المستحيل – أن تخفى دولة استعدادات جيشها الكبير . . فإنه يبقى أن تبذل هذه الدولة غاية جهدها لتقليل نسبة ما يظهر للعدو من هذه الاستعدادات .

– وإذا كان تأهب جيش ضخم لحرب وشيكة لابد أن تتنبه له عيون العدو . . فإن قمة النجاح تتأتى إذا جعلت هذه العيون ترى ما أمامها . . لكنها فى نفس الوقت لا تراه . . فلتكن لهم عيونهم ولكن . . عليك أن تجعلهم لا يبصرون ما يرون . .

عليك أن تجعلهم يشكون فى قدرتهم على الرؤية ، فيتهمون بعضهم البعض بأنهم « يرون الشىء شيئين » بمعنى أنهم يبالغون فى تقديراتهم ورؤيتهم للحشود والاستعدادات . عليك ما دام من المستحيل أن تمنعهم من قراءة استعداداتك – عليك أن تجعلهم لا يستطيعون قراءة نواياك .

– فتكون النتيجة مثلا أن يقول وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر :

« لا أحد ارتكب أية أخطاء تتعلق بالحقائق ولكن معرفة الحقائق كانت أيسر من معرفة النوايا » .

– وأيضاً يقول أحد كبار رجال المخابرات الأمريكية :

« بالرغم من وجود أدلة عديدة على التحركات العسكرية فإننا تعرضنا للتضليل ، لقد كانت لدينا العناصر الصحيحة ، ولكننا لم نزن أولوياتها بطريقة صحيحة ، إن

مخابرات البنتاجون – بعد تبادل المعلومات بينها وبين المخابرات الإسرائيلية ظلت تجادل فى الطبيعة التهديدية للاستعدادات المصرية » .

– وأيضاً يقول ضابط إسرائيلى كبير لأحد جنودهم الذى أبلغه بالاستعدادات السورية للهجوم يقول له : « هذه مجرد مناورة . . إنهم لن يفعلوا شيئاً » ونفس الوضع بالضبط يحدث على الجبهة المصرية فتقول القيادة الإسرائيلية فى سيناء لأحد جنود المراقبة إنك تبالغ فى تقديرك للحشود المصرية إنك – يا عزيزنا – ترى الشىء شيئين »

– **وأيضاً يقول كاتب إنجليزى كبير هو أندريه دويتش :**

« بينما كانت وكالات المخابرات الأمريكية متزعجة وقلقة فى اجتماع مجلس المخابرات فإن المخابرات الإسرائيلية كانت ما تزال مقتنعة بقراءتها للنوايا العربية ، وبصرف النظر عن التقدير المرتفع الذى تنظر به واشنطن إلى المخابرات الإسرائيلية ، فإن مجلس مخابرات الولايات المتحدة قرر فى اجتماعه أنه طالما أن الإسرائيليين هم فى النهاية الذين سيواجهون أقصى العقوبة فى حالة فشلهم فإن آراءهم لابد أن يكون لها وزن خاص » .

* * *

* **سير العمليات « العقلية » فى تحقيق المفاجأة :**

والدور الخاص والبارز الذى لعبه السادات :

هل كنت مبالغاً حين قلت فى الفصل الخاص بالقرار : « إن شخصية أنور السادات كان لها دور حاسم فى تحقيق المفاجأة ؟ » .

وهل أكون غير موضوعى لو قلت إن السادات بالذات هو الذى كان يستطيع أن يلعب هذا الدور الخاص والبارز فى حرب العقول من أجل تحقيق المفاجأة التى تتيحها ظروف العصر ؟

ليس دفاعاً عن نفسى – وإنما تأكيداً لهذه الحقيقة . . أقول إن « المبالغة » و « غير الموضوعية » أبعد ما تكون عما قلت .

. . وهذه هى حيثيات الحكم الذى توصلت إليه :

* **أول قائد فى التاريخ يكون سعيداً كلما زادت السخرية منه :**

* كما أوضح فصل « القرار » لم يكن جهد السادات محصوراً فى الإعداد الشاق للدولة والقوات المسلحة ، كما أن القرار ذاته لم يستمد حجمه الضخم من جرأته وحسمه فقط .

لقد كانت حيرة الإسرائيليين وغيرهم فى توقع الخطوة التالية للسادات عاملاً هامًّا فى تحقيق المفاجأة – بل إن الأكثر خطراً من ذلك أنه جعلهم فى النهاية يركنون مطمئنين إلى الاعتقاد بأنه لن يحارب وهكذا فشلوا جميعاً فى « **قراءة نواياه** » .

إن هذا التمويه فى حد ذاته وكما أثبتته الوقائع التى تضمنها فصل القرار يؤكد ما وصلت إليه خطورة الدور الذى لعبه السادات فى تحقيق المفاجأة ، ولكن الرجل لم يقنع بما فعله فى هذا الصدد ، لم يكتف بالجهد العصبى العنيف الذى كان عليه أن يبذله لإخفاء نواياه فيتحمل بصبر عظيم ألوان النقد الجارح ، وأنواع السخرية القاسية ، بل لعله كان أول قائد فى التاريخ يشعر بالسعادة كلما انهالت عليه مشارط وخناجر النقد والسخرية هازئة (بضعفه وتردده ونواياه السلمية أو الاستسلامية) .

* لم يقنع السادات بهذا الدور المرهق .
* ولم يكتف بذلك الجهد العصبى الخارق .
* لكنه قاد عمليات تمويهية أخرى على المستوى الاستراتيجى والتعبوى ليضيف إلى جهود جهاز الإعداد والتخطيط فى القوات المسلحة جهوداً أخرى .

. . وقبل أن نتتبع هذه العمليات يجدر بنا أن نلقى نظرة على جانب هام فى شخصية وحياة السادات . فنحن إذا كنا قد توقفنا أمام أبرز صفاته التى كانت وراء القرار والمفاجأة وهى :

– الشجاعة التى لا تنال منها أخطر المواقف والظروف .
– الصبر والقدرة غير الطبيعية على تحمل كل أنواع المعاناة .
– المثابرة والجهد المنظم الواعى .
– الإصرار فى مواجهة كل التحديات .
– الحسم الذى لا يعرف التردد أو التراجع .

إذا كنا قد توقفنا أمام هذه الصفات فى الصفحات السابقة ، وفى فصل القرار ،

فإنه ما يزال هناك هذا الجانب فى تكوين وحياة السادات الذى ساعد كثيراً فى تحقيق « المفاجأة » فما هو ؟

– السادات والعمل السرى :

منذ صباه برزت وطنية السادات . . وبرزت معها صفات الجرأة والصبر والتحمل ، ومع تقدمه فى العمر ودخوله مرحلة الشباب . زادت وطنيته اشتعالاً واكتسب أو نمى لديه صفات أخرى هى القدرة على العمل السرى ، والتخطيط والتنفيذ الذى لم يهدأ حتى قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ التى شارك فى تخطيطها وتنفيذها .

ومن تحصيل الحاصل أن نقول إن هذه الحياة الخفية التى عاشها السادات مع متاعب الكفاح ضد الاحتلال الإنجليزى ، قد أكسبته صلابة ومقدرة غير عادية على تحمل الصعاب والصبر فى مواجهتها كذلك فإنها – بالتأكيد – قد صقلت موهبته الفطرية المتمثلة فى البراعة والدهاء والتكتم حتى إن أقرب المقربين إليه لا يستطيع الاطلاع على أفكاره الخاصة وبالتالى التنبؤ بخطوته المقبلة . فى الوقت الذى يبدو هو فيه وكأن أسهل الأشياء الدخول إلى عالمه حتى الأعماق .

ولماذا نذهب بعيداً . . أو لم تكن سلسلة قراراته ومواقفه منذ تولى رئاسة الجمهورية (وهذا ما وصفت صورة دقيقة له فى فصل القرار) دليلاً جديداً على قدرته على التخطيط والتكتم ثم المفاجأة .

إن المثير حقًّا أن المراقبين المحليين والدوليين مثلما لم يتنبهوا إلى قدرته على اتخاذ القرار واستمرءوا البحث عن أى تفسير آخر لا صلة له بهذا البعد من أبعاد شخصيته . هؤلاء المراقبون ، فشلوا أيضاً فى استكشاف قدرته على التخطيط والمفاجأة فى تلك السلسلة من المواقف والقرارات . وهم بالتأكيد لوسألتهم الآن تبريراً لسوء فهمهم لن يقولوا إنهم تصوروا أنها ضربة حظ كانت تساعده ، فالحظ لا يأتى أكثر من مرة ثم إنه لا يحالف إلا من يعمل ويخطط .

وقد كانت الفترة من نهاية ١٩٧٠ وحتى أكتوبر ٧٣ حافلة بأصعب واخطر المواقف التى ما كان يصلح معها إلا الرجل الذى يجمع فى داخله كل تلك الصفات (الشجاعة – الصبر – الهدوء – التكتم – المثابرة – الحسم . .)

. . . . . .

ونعود إلى شباب السادات حيث كان من الطبيعى أن تقع عليه عيون مخابرات قوات الاحتلال البريطانى فتبدأ فى تعقبه ومطاردته ، ولم يكن حظه أفضل مع مخابرات القصر الملكى .

وقد كانت خطورته بالنسبة لهذه الأجهزة – خاصة وأنه أصبح ضابطاً بالقوات المسلحة ، دافعاً إلى تضييق الخناق عليه أكثر فأكثر . وكان هذا بالتالى يضاعف من حاسة وقدرة العمل السرى لديه . وقد بلغ من إيمانه بضرورة إزعاج قوات الاستعمار والعمل على تحقيق الجلاء أنه رتب عدة عمليات ضد معسكرات وجنود الاحتلال ، واندفع إلى خطوة أكبر من ذلك حين وجد فى مساعدة أجهزة المخابرات الألمانية سبيلاً إلى إضعاف وربما تدمير الوجود الإنجليزى فى مصر ، وهكذا دخل إلى عالم أوسع وأكثر غموضاً وخطورة من العمل السرى .

وقد اعتقل السادات ، وقدم للمحاكمة أمام مجلس عسكرى برئاسة ضابط إنجليزى وهو الميجور جنكنز وعضوية ضابطين أحدهما إنجليزى والآخر مصرى . . وفى هذه التجربة سجل السادات لنفسه موقفين أو صفتين :

أولاهما حينما لم يضعف أمام السجن أو التعذيب ، واحتفظ برباطة جأشه والتزم الصمت فلم ينطق بكلمة واحدة يستفيد منها العدو ، ثم صاح محتجًّا بأنه يرفض – وهو الضابط المصرى – أن يحاكم أمام ضباط إنجليز .

وصدر قرار بطرده من الجيش فى أكتوبر ١٩٤٢ وما إن خلع الملابس العسكرية حتى قبضت عليه الشرطة المدنية ورحلته إلى معتقل المنيا .

وهنا ظهرت الصفة الثانية : لقد أظهر قدرة بارعة فى التخطيط لعملية الهروب من المعتقل فى نوفمبر ١٩٤٤ . ليبدأ بعد ذلك سلسلة من التخفى والمناورات حتى لا يقع فى أيدى الشرطة والمخابرات إلى أن ألغيت الأحكام العرفية فى عام ١٩٤٥ وبالطبع لم يكن هذا العام نهاية نشاطه السرى والعلنى .

. . . . . .

. . . . . .

بهذا الرصيد – غير المعلن – من الصفات والإمكانيات الذاتية ، قاد السادات عملية الإعداد والتخطيط وبشكل خاص فى مجال تحقيق المفاجأة . استراتيجيًّا وتعبويًّا . .

وكان من الطبيعى – وهذه هى صفاته وهذا هو إيمانه بالعمل فى هدوء وسرية –

أن يهتم بأجهزة المخابرات ، فأعطاها دفعة جديدة بعد تلك الدفعة التى أعطاها لها جمال عبد الناصر رحمه الله فى أعقاب نكسة يونية واكتشافه لأهمية تخليصها من السلبيات وتدعيمها بكل الوسائل .

وقد تبلور الاهتمام الخاص للسادات بدور المخابرات فى اختياره لوزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ، ولمستشاره للأمن القومى ، ولرئيس هيئة العمليات الحربية من بين رجال المخابرات (أحمد اسماعيل على – حافظ اسماعيل – محمد عبد الغنى الجمسى) .

. . . . . .

. . . . . .

عمليات للخداع والتمويه قام بها السادات شخصياً :

إذا كان السادات كما أشرت وكما سيتضح فى الصفحات التالية قد شارك بل قاد التخطيط لمعظم عمليات الخداع والتمويه التى صنعت أكبر شرك وأكبر مصيدة فى التاريخ لمخابرات إسرائيل وحليفاتها . فإنه قد قام شخصياً بتخطيط وتنفيذ بعض هذه العمليات بالإضافة إلى قصته مع القرار والمحللين والكتاب المحليين والعالميين .

١ – ساتر السرية والإخفاء :

تابع السادات باهتمام شديد عملية بناء ساتر مرتفع على الضفة الغربية للقناة ، حتى يتم إخفاء تحركات واستعدادات القوات عن أعين الإسرائيليين الذين يستغلون الساتر الذى أقاموه على الضفة الشرقية للملاحظة والمراقبة (إلى جانب الأهداف الأخرى) .

ولعل هذا الاهتمام قد عبر عن نفسه ، بثورته العنيفة عندما اكتشف أنه قد حدث نوع من التراخى فى تعلية الساتر حتى أصبح الساتر الإسرائيلى مرتفعاً عنه بما يسمح بكشف المواقع والقوات ، وكان ذلك بالنسبة له أحد المؤشرات لعدم جدية قمة القيادة العسكرية – وقتئذ – فى الإعداد للحرب – فسارع بتغييرها (بعد التخطيط والتكتم وبالحسم – كالعادة . .)

. . وعلى الفور أشرف القائد الجديد الفريق أول أحمد إسماعيل على بنفسه على تعلية الساتر فى زمن قياسى ليحقق أهم الأغراض المترتبة عليه . وهو « الإخفاء » و« السرية » .

. . . . . .

٢ – الاستعداد . . للأكل . . لا للحرب :

كان العد التنازلى لساعة الصفر قد بدأ بالفعل . ولم يكن قد تبقى على اندلاع « الشرارة » إلا تسعة أيام فقط .

ولنا أن نتصور ما يدور داخل ذهن الرجل المسئول عن الأمة بأسرها فى هذه اللحظات المصيرية – ولنا أيضاً أن نتخيل الضغط العنيف الذى تتعرض له أعصابه مع كل تطور مفاجئ – وغير مفاجئ ، ومع اقتراب ساعة الصفر (التى سيتغير معها التاريخ والجغرافيا) إلى أحسن أو أسوأ .

ومع ذلك ها هو ذا الرجل نفسه بهدوء غريب يقف ليعلن « أن الحكومة التى يترأسها سوف تهتم بتوفير السلع الغذائية الرمضانية للجماهير بكميات وفيرة » .

ولعله استمع بعد ذلك وربما فى نفس اليوم إلى الموجة الجديدة من الانتقاد والسخرية التى وجهت إليه . فالمتربصون وفاقدو الثقة يصرخون قائلين :

إن الدولة تستعد للأكل – بدلاً من الاستعداد للحرب .

وقادة العدو يضحكون ملء أشداقهم ، وربما ينفعل أحدهم من كثرة الضحك كديان مثلاً فيخلع نظارته « النصفية » ويخبط جبهته بيده قائلاً لمن حوله :

ألم نقل بأنه ضعيف ، أليست هى القيادة الضعيفة التى تسعى إلى ملء بطون شعبها حتى يستغرق فى النوم وينسى حكاية الحرب ، مطبقة لمبدأ « الشعوب تمشى على بطونها ؟

أما الفريق الثالث . . فكان ينطوى على مشاعر مبهمة قائمة . . ويحاول أن يحل المعادلة الصعبة . . هل حقًّا سنحارب ؟

. . . . . .

. . . . . .

٣ – التحرك سياسيًّا . . « وكفى الله المؤمنين القتال » .

إلى واشنطن ، إلى لندن ، إلى موسكو ، إلى نيودلهى ، إلى بكين إلى معظم عواصم الدول على هذه الأرض . . طار عدد من المسئولين المصريين (حسين الشافعى – مراد غالب – محمد حسن الزيات – حافظ إسماعيل ، د . أشرف مروان . .) .

. . والصحف المصرية تتابع التحرك السياسى والدبلوماسى لاهثة منقطعة الأنفاس

ويتفاءل بعض المحررين أكثر من اللازم فيقول إن التحرك الديبلوماسى الذى يقوده الرئيس السادات . . سوف يثمر الكثير فى الدورة القادمة للأمم المتحدة .

. . إذن لقد حصرت مصر كل جهدها فى نطاق الحل السياسى أما القتال فقد كفى الله المؤمنين شره . . وليحاول المصريون أن ينسوا حكاية الأراضى المحتلة والحقوق الشرعية . . و . . و . .

. . . . . .

. . . . . .

٤ – اشتركت فى هذه « اللعبة » . . دون أن أدرى :

« مصر فى عصر الوفاق . . . الميثاق ووثائق الثورة » ، « كيف نخطط لمصر حتى سنة ٢٠٠٠ » . . « مستقبل العالم العربى » .

فجأة تصدرت هذه العناوين الصفحات الأولى للمجلات والصحف المختلفة . . وتحولت قاعات الاتحاد الاشتراكى إلى خلية نحل ، وتحرك مجلس الشعب هو الآخر ليقود المناقشات الخطيرة التى تلخصها العناوين السابقة .

ويسخر البعض قائلين « إنهم – القيادة – يشغلون الناس بلعبة جديدة » . ويقول فريق آخر منهم « لماذا لا يكونون صرحاء ويعترفون بأنهم قدتخلوا تماماً عن فكرة الحرب حتى يعرف الواحد منا رأسه من قدميه ؟ » .

ورد آخرون بحماس واضح . هل ترفضون الديمقراطية . . إن الرئيس يريد أن يخطط الشعب لبلده . . فكيف تحولون القضية إلى شىء آخر .

. . . . . .

والطريف أننى وجدت نفسى طرفاً فى هذه اللعبة الخبيثة التى بدأت واستمرت قبل الحرب بشهور قليلة جداً ، فقد سافرت إلى محافظتى « الغربية » لأشارك فى المناقشات التى تنظمها أمانة الاتحاد الاشتراكى بصفتى عضواً فى المؤتمر القومى وعضواً فى المجلس الشعبى للمحافظة .

وأعترف أننى لم أكن مقبلاً على هذه المناقشات التى نظمها وأدارها على مستوى الجمهورية كلها بعض نجوم العمل السياسى والشعبى وعلى رأسهم محمود أبو وافية رئيس لجنة الاقتراحات بمجلس الشعب ، لكننى ما إن دخلت القاعة وبدأ الدكتور جمال

العطيفى – وكيل مجلس الشعب – الندوة حتى أخذنى حماس المشتركين من القيادات السياسية والشعبية . . وثار الجـدل واحتد ، واشتعلت المناقشات حول الموضوعات المطروحة ، واحتججت أنا لأمين المحافظة لأننى طلبت الكلمة . . وتأخر دورى فى المناقشة .

واستغرقت الندوة ساعات . . ولم تنته إلا بالاتفاق على مواصلتها على مدى أيام طويلة حتى نضع أمام القيادة صورة دقيقة لأفكار الشعب عن مصر فى عصر الوفاق والتكنولوجيا و . و .

وإننى لا أستطيع أن أقاوم الابتسامة – التى تقفز إلى شفتى الآن ، وأنا أتذكر كيف صاح أحد الموجودين مطالباً باستمرار الندوة طوال اليوم حتى تكون المحافظة أولى المحافظات التى تقدم تصورها الشامل . . فتكون حافزاً لغيرها على سرعة العمل ! ! وحتى تبدأ القيادة دراستها بأسرع ما يمكن .

لقد كان الرجل يتصور أن القيادة العليا تجلس على أحر من الجمر انتظاراً لنتائج هذه المناقشات . ولو أنه ونحن معـه قـدر لنـا مثلاً أن ندخل القاعدة الجوية التى تقع على بعد كيلومترات من مكان اجتماعنا بطنطا . . لأحسسنا أن القيادة منهمكة فى شىء آخر . . أهم وأخطر . .

. . وبالرغم من أنه لا يسعد المرء أن يكتشف أنه كان طرفاً فى لعبة دون أن يدرى إلا أننى وغيرى . كنا ومازلنا سعداء بذلك . فلقد كنا أطرافاً فى واحدة من أكبر عمليات التمويه التى أعدها القائد . . تمهيداً للحرب المفاجئة . .

بل إن ما اتضح لى بعد ذلك كان أكثر إثارة ، فلقد قال الأستاذ محمود أبو وافية (الذى قاد هذا الحوار الواسع) إنه هو أيضاً برغم موقعه وقرابته للسيد الرئيس كان لا يدرى أنه يشارك أو يقود عملية تمويه كبيرة ، وضحك قائلاً « لقد كنت أنا أيضاً ممن موه عليهم » .

٥ – . . السادات . . بين السبت والاثنين وبين الظهر والمغرب

إذا اعتبرنا العمليات السابقة جزءاً من الخداع والتمويه الاستراتيجى فإن هذه العملية تعد أحد ملامح الخداع التعبوى .

لقد كان السادات هو شخصياً الذى اختار يوم السبت لتندلع فيه شرارة بدر لماذا ؟

لقد توصل الرئيس من دراساته النظرية وتجاربه العملية مع الفكر الإسرائيلى إلى أن آخر مراحل الاستعداد للاقتحام والعبور (حين يرفع الجنود شباك التمويه من فوق دباباتهم ، وتخرج معدات العبور من أماكن إخفائها) . . سوف تعطى للعدو الدليل القاطع على نية الهجوم – وهم سيقدرون لبداية هذا الهجوم أن تكون مع غروب الشمس .

وفى هذه الحالة تستطيع القوات المصرية حين تبدأ اقتحامها للقناة ظهراً . . أن تستثمر التقدير الخاطئ للقيادة الإسرائيلية ، وكان اختيار الرئيس ليوم السبت قائماً على فهمه لطبيعة الطوائف اليهودية المتزمتة التى ترفض العمل فى هذا اليوم ، كما أن إذاعتهم تكون متوقفة هى الأخرى فتتضاءل فرص التعبئة السريعة .

كما أنه توقع أن تسارع القيادة الإسرائيلية بأن تطلب من أمريكا التدخل لدى مصر ، انتظاراً للحل السلمى وهم بذلك يمارسون الخداع السياسى ، إذ أنه لو قبلت مصر الوساطة والوعد فستكون الفرصة سانحة للإسرائيليين لكى يشنوا هم الحرب يوم الاثنين .

أما لماذا توقع أن يختاروا هم يوم الاثنين ، فقد جاء ذلك نتيجة للمعرفة الجيدة بأن إسرائيل تفضل هذا اليوم . . إذ أن السبت بالنسبة لهم ليس يوماً مناسباً فى نظر المتدينين من طوائفهم ، ومن ثم تبدأ التعبئة فى أنسب يوم وهو الأحد حيث ستكون السفارات الأجنبية مغلقة وسيتعذر أو على الأقل يتأخر السفراء فى الاتصال بدولهم للإبلاغ عن حالة التعبئة للحرب . . إذ سيكون عليهم التوجه أولاً إلى سفاراتهم ثم اتخاذ الإجراءات اللازمة لتشغيل أجهزة اللاسلكى بل إن القيادة الإسرائيلية لا تتورع عن تعويق وصول عدد من هؤلاء السفراء إلى مكاتبهم . . وهكذا ما إن يأتى يوم الاثنين حتى تكون التعبئة قد اكتملت . . والقوات قد استعدت لتبدأ هجومها الإجهاضى .

هذا ويستطيع أى محلل أن يتثبت من صحة ودقة هذه الاستنتاجات لو عاد إلى اليوم الذى بدأت فيه إسرائيل حربها فى عام ١٩٥٦ وحربها فى عام ١٩٦٧ . وسيجد أن يوم ٢٩/١٠ / ٥٦ كان يوافق يوم الاثنين كما أن ٥ يونية ١٩٦٧ كان يوافق أيضاً يوم الاثنين .

وهكذا اقتنع السادات باختيار يوم السبت لتندلع فيه الشرارة وأقنع القيادة العسكرية بأهمية هذا اليوم .

. . . . . .

. . . . . .

٦ – غذاء رمضان :

ليس الأمر متعلقاً هذه المرة بسلع رمضان الغذائية كما قد يوحى العنوان المكرر ولكن السادات بتكوينه الدينى الروحى اختار أن تكون الحرب فى رمضان . . وبالذات فى العاشر منه لتحقيق التالى :

١ – لأن العدو لا يتوقع أن تحارب مصر فى هذا الشهر الذى يركن فيه المسلمون إلى الكسل والتراخى .

٢ – الحرب فى رمضان وبالذات فى ذكرى غزوة بدر . . ترفع معنويات المقاتلين فيحاربون مزودين بغذاء رمضان الروحى العظيم .

ومن الأهمية بمكان أن نوضح هنا أن اختيار يوم السبت العاشر من رمضان الذى وافق ٦ أكتوبر ، ووافق يوم عيد الغفران ، لم يكن استغلالاً للمناسبة الدينية فى إسرائيل . إذ أنه لو كان ذلك فى الحسبان حقًّا لكان الاختيار قد وقع على يوم عيد رأس السنة اليهودية أو عيد العرش إذ أن اليهود فى هذين العيدين يخرجون من بيوتهم فى رحلات مختلفة حيث يسهون ويحتفلون بالعيد بينما نجد أنهم فى عيد الغفران يلزمون بيوتهم أو معابدهم وفى هذه الحالة تكون عملية الاستدعاء والتعبئة العامة أمراً سهلاً للغاية .

ولعل الإسرائيليين أنفسهم قد اعترفوا بهذه الحقيقة حين قالوا فى فزع « ترى ماذا كان سيحدث لو اندلعت الحرب ونحن فى عيد رأس السنة اليهودية أو فى عيد العرش . . كيف كانت التعبئة ستتم ونحن جميعاً خارج بيوتنا ، إن عملية التعبئة كانت مرتبكة فى يوم الغفران برغم سهولة العثور على الجنود فى البيوت أو المعابد . . فأية كارثة كانت ستحدث لو اختار العرب يوم عيد رأس السنة أو عيد العرش حين لا يتيسر الاهتداء السريع إلى الجنود كما يعرقل ازدحام الناس وسياراتهم فى الشوارع حركة التعبئة ؟ .

شهادات للإعداد والتخطيط المصرى السورى

كنت متفائلاً مرتاح النفس :

لقد خططنا للمعركة تخطيطاً علمياً مدروساً بكل ما تقتضيه الخطة من تفصيلات ، وواجبات ومهام . كانت خريطة سيناء أمامى بكل معالمها . كل تفصيل على أرض سيناء كان موضوعاً فى الاعتبار ، وكل قائد وكل مقاتل كان يعرف واجباته ، ودرب عليها ، واستعد لها استعداداً هائلاً .

لهذا فقد كنت متفائلاً ومرتاح النفس .

أولادى فى القوات المسلحة كانوا على أعلى درجات التأهب والاستعداد ، وكنت فى نفس الوقت أعرف أولادى من أبناء شعبنا الطيب ، أصلاء ورجالاً وأبطالاً عند الشدة .

وكان فى اعتبارنا أيضاً أثناء التخطيط ، أن المعركة ستلهب مشاعر أبناء الأمة العربية جميعهم وستستأثر بكل ما يملكون من الحماسة والطاقات . ولذلك كان من ضمن تخطيطى للمعركة أن تستمر أطول وقت ممكن ، وقد التقى معى فى هذا التخطيط المغفور له جلالة الملك فيصل على أساس أن طول المعركة يسمح بتكوين رأى عام عربى .

وقد كانت كل هذه التفصيلات بالاتفاق أساساً مع الرئيس السورى حافظ الأسد .

(توقيع)

محمد أنور السادات

ما بين غمضة عين وانتباهتها . . حدث ما حدث :

ليس أمامنا مفر من أن نشهد لجهاز التخطيط المصرى بالبراعة !

لقد كانت خططهم دقيقة ، وكان تنفيذها أكثر دقة . لقد حاولنا بكل جهدنا إعاقة عملية العبور وردها بالقوة على أعقابها ، غير أننا ما كدنا نتمثل ما حدث إلا وكانت نتائجه قد تحققت لهم .

كأنما أغمضنا أعيننا ، وفتحناها ، فإذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة إلى شرقها ، ليفاجئونا صباح ٧ أكتوبر بخمس فرق كاملة أمامنا على الضفة الشرقية من القناة .

(توقيع)

الجنرال الإسرائيلى « نارکيس »

« شهادة . . لها قيمتها »

« كان التخطيط المصرى لعمليات أكتوبر تخطيطاً بارعاً ودقيقاً ، فلقد قامت القيادة المصرية بدراسة نقط القوة والضعف فى عدوها ، وكان السؤال الرئيسى المطلوب الإجابة عنه هو :

« ما نوع العمليات الذى يحقق أهداف المعركة ، ويسبب لإسرائيل الخسائر المؤلمة ؟ » .

وقد توصلت القيادة المصرية فى دراستها إلى أن نقط القوة فى إسرائيل تتركز فى التالى :

١ – استماتتها فى البقاء

٢ – تفوقها التكنولوجى (حسب تصورها)

٣ – قدرتها على تدريب قوتها البشرية عسكرياً .

٤ – كفاءة نظام التعبئة فيها .

٥ – الدعم الواسع اقتصادياً وعسكرياً وتكنولوجياً (وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية) .

أما نقاط الضعف فى إسرائيل فقد حددتها القيادة المصرية كالتالى :

١ – الحدود الممتدة الواسعة مع الدول العربية والتى تصل إلى ٥٠٠ ميل .

٢ – صغر حجم سكانها (أقل من ٣ ملايين فى مقابل ٨٢ مليون عربى) .

٣ – اقتصادها المرهق بالمجهود الحربى .

٤ – الخيلاء الطائشة التى أصابت رؤوس قادتها بعد حرب ١٩٦٧ .

٥ – التأثير الخطير الذى ينجم عن التعبئة المستمرة فيها .

هكذا حددت القيادة المصرية نقط القوة والضعف فى عدوها وبنت عليها خطتها لحرب أكتوبر – وبالفعل تحت هذه الظروف – تحولت مصر إلى الهجوم ، واستولت على عنصرى المبادأة التكتيكية والاستراتيجية » .

(توقيع)
الميجور جنرال فارار هوكلى
فى بحث معهد الدراسات
الاستراتيجية بلندن

obeikandl.com

الاقتدار والحكمة :

« إن الجيش المصرى قد مزج بين الخطط المحكمة والشجاعة والبسالة ، مما جعله يبهر إسرائيل والعالم أجمع .

لقد قدر السادات وأحمد إسماعيل على – الذى عين قبل الحرب بقليل قائداً عاماً لقوات الاتحاد الثلاثى الذى يضم مصر وسوريا وليبيا – قدرا جوانب القوة والضعف فى العدو بصورة محكمة . وتم ذلك باقتدار وحكمة فريدين ».

(توقيع)
جان كلود جيبوه
(فى كتابه أيام إسرائيل الرهيبة)

ثلاث هزائم فى ثلاثة أيام :

فى أكتوبر ١٩٧٣ اقتحمت القوات المصرية قناة السويس بفضل كفاءة التخطيط والأداء . بحيث يمكن الجزم بأن عملية العبور لا يمكن لأى جيش آخر فى العالم أن يفعل أفضل منها .

إن العبور المصرى للقناة يعتبر فى الحقيقة أعظم إنجازات حرب أكتوبر ، وقد هزمت إسرائيل فى يوم ٦ أكتوبر وقبل انقضاء الليل وفقدت معظم دباباتها التى كانت مرابضة فى القلاع والحصون ، وفى اليوم التالى قامت إسرائيل بهجوم مضاد آخر ، وقد فقدت المزيد من دباباتها ومنيت بالهزيمة الثانية ، وفى اليوم الثالث للحرب وفى هجوم مضاد عام لقيت إسرائيل الهزيمة الثالثة وكان ذلك فى يوم الاثنين الذى أطلقوا عليه « يوم الاثنين الأسود » .

إن التخطيط المصرى الذى قاد إلى هذه النتائج ، قام على عدة أسس توصل إليها المصريون وهى :

١ – من المستحيل إحراز نصر عسكرى كامل لأى من الجانبين فهذا هو ما لن تسمح به القوتان العظميان .

٢ – يجب عمل كل ما هو ممكن للحد من فعالية التفوق الإسرائيلى فى القتال الجوى ، ومنع طيرانهم من دعم عملياتهم البرية .

٣ – يمكن التغلب على التفوق الإسرائيلى الفنى التكتيكى وبصفة خاصة فى سلاح المدرعات المتحركة باستخدام تكتيكات دقيقة وباستخدام الصواريخ المضادة للدبابات .

٤ – بالتدريب والنظام والتوعية يمكن بعث الثقة فى نفس الجندى المصرى وفى سلاحه ، كما يمكن أن تبث فيه روح الصمود فى القتال وخصوصاً فى القتال الدفاعى حيث يعتبر المصريون أنفسهم متفوقين على الإسرائيليين .

بالإضافة إلى هذه الأسس . . ظهر ذكاء المخطط المصرى حين ركز على نقاط الضعف الإسرائيلية والتى يجىء فى مقدمتها :

١ – حساسية إسرائيل تجاه الخسائر البشرية ، وأثر ذلك حين يتم إجبارها على الدخول فى حرب تكبدها خسائر فادحة فى الأرواح .

٢ – الغرور الإسرائيلى الزائد . . وكيفية استغلاله فى تحقيق المفاجأة .

« خبير عالمى »

الحب الذى وقعت فيه إسرائيل :

ليس هناك أى شك فى أن قرار مصر وسورية بشن الحرب ، نجم عن الشعور بأن إسرائيل وقعت فى حب « الوضع الراهن ، والجو العسكرى والسياسى » وأن الولايات المتحدة والدول الغربية ليست مستعدة لممارسة ضغوط ذات معنى على إسرائيل من أجل إعادة الأراضى .

لذلك جاءت الخطة التى بنى عليها القرار – مترابطة تماماً فى جوانبها العسكرية والسياسية والاقتصادية .

يجب علينا أن نعترف بأنها خطة عبقرية فى واقعيتها .

(توقيع)
كاتب إسرائيلى معروف كتب سلسلة مقالات بعد عام واحد من حرب أكتوبر تحت عنوان
« عام خيبة الأمل والاحتجاج »

« كان التخطيط المصرى دقيقاً إلى أقصى حد » .

(توقيع)
بريميا يوفيل
المراسل الحربى الإسرائيلى

« إن الواحد والعشرين شهراً التى مرت بعد ديسمبر ١٩٧١ فى هدوء قد أساء الإسرائيليون فهمها ، ذلك أنه ابتداء من ذلك التاريخ (ديسمبر ١٩٧١) كان الرئيس السادات قد أعد الشرك الذى نصبه بمناوراته الكبرى التى خدرت تماماً كل حذر لدى إسرائيل » .

« والحقيقة هى أنه كلما كان السادات يكثر من تهديدات الحرب – شخصياً أو عن طريق جهات أخرى كانت ترشدها وتوجهها أجهزته فى الجيش والإدارة – كان يضعف استعداد إسرائيل للنظر بجدية إلى أقواله ، وكان رد الفعل الإسرائيلى الدائم « هذا غير جاد . . لن يحدث أى شىء » .

إن رد الفعل هذا – أو بدقة أكثر – عدم وجود رد الفعل ، كان النتيجة المرجوة لخطة التضليل التى أعدها . وإن هذا هو أساس الكارثة التى حدثت فى هضبة الجولان وسيناء فى السادس من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ » .

(توقيع)
يشعيا هو بن – فورات – يهوناتان جيفن
أورى دان . . وبقية مؤلفى « المحدال »

« . . كنت أعلم نوع تفكير القادة الإسرائيليين ، وكنت أقرأ ما فى أذهانهم ، ولى بهم خبرة طويلة . .

لقد كان الإسرائيليون يتوقعون منا – مثلاً – أن نندفع بسرعة إلى داخل سيناء ، وفضلوا أن ينصبوا لنا الشرك وينتظرونا لندخل الكمين الذى أعدوه ثم يرتدون علينا فى هجوم مضاد ليفتكوا بنا كما أرادوا .

كنا على بينة من أسلوبهم ، وكنا نقرأ أفكارهم ولم نمنحهم الفرصة ولم نندفع فى عمق سيناء .

وكان علينا أن نتنبه مرة أخرى لرد فعلهم لموقفنا من خططهم ، وأمكننا أن نقتنع بأن صبرهم سوف ينفذ ، فقد كنا نثق فى أن هذا المسلك من جانبنا سوف يحملهم مضطرين على مهاجمتنا . .

وهكذا تنبأنا بالهجوم وأعددنا له العدة . . وبالفعل حضروا إلينا ودمرناهم . . وكانت البداية قصة اللواء ١٩٠ المدرع الذى أفنى عن آخره وأسر قائده عساف ياجورى . .

. . . . . .

هكذا كنا نبنى تخطيطنا وتفكيرنا على أساس ما نعتقده ونتنبأ به من تفكير وتخطيط العدو » .

القائد الأعلى للقوات المسلحة

الرئيس محمد أنور السادات

وتوالت سلسلة العمليات العقلية من أجل المفاجأة

بعد أن رأينا كيف قام السادات بدور خاص وخطير فى تخطيط وتنفيذ بعض عمليات الخداع والتمويه ، نعود إلى فريق العقول المصرى الذى كان عليه أن يستكمل التخطيط الشامل مضيفاً سلسلة أخرى من العمليات الخداعية والتمويهية . ضماناً لتحقيق الهدف المتمثل فى الحيلولة بين العدو وبين اكتشاف المعلومات التالية :

١ – نية الهجوم المصرى

٢ – الاستعدادات والتجهيزات القائمة قبيل الهجوم

٣ – موعد الهجوم

٤ – بدء الهجوم (ساعة البدء)

٥ – اتجاه الهجوم

٦ – حجم الهجوم

وكانت الخطة الشاملة بطبيعة الحال تقوم على التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية كما راعت توفير التنسيق الكامل على مستوى الدولة بين عدة وزارات وعلى الأخص قطاعات القوات المسلحة ، والخارجية ، والإعلام ، حيث إنها تتصل بالمعركة اتصالاً مباشراً وإن اختلفت أو تفاوتت درجاته .

العالم بما فيه إسرائيل . . هدفاً للتمويه :

١ – على مدى عام كامل ظلت الإذاعة العبرية الموجهة من القاهرة إلى إسرائيل ، تعمل وفق الخطة المرسومة لهـا وهى إذاعة الموسيقى والأغانى الخفيفة ، مـع نشرات الأخبار ثم التعليقات التى تدعو كلها إلى السلام . . وكان من الطبيعى أن يعتبر هذا الخط الإعلامى دليلاً قويًّا على أن العرب قد استبعدوا الحل العسكرى ، ولم تعد لديهم نية الحرب .

٢ – اتسم التقرير الذى قدمه وزير الخارجية المصرى إلى مجلس الأمن « قبل الحرب » بالاعتدال ، والنزوع نحو البحث عن حل سياسى .

٣ – حين وجه وزير الخارجية الأمريكى الدعوة للوزراء العرب الموجودين فى نيويورك خلال دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لتناول الغداء على مائدته ،

رفض بعض الوزراء تلبية الدعوة . وقد أظهرت مصر بشكل واضح وغير عادى ، عدم ارتياحها بالنسبة لهذا التصرف ، وكان الانطباع الفورى هو أن مصر تتشبث بتلابيب أى حل سياسى « لا تستطيع تحقيقه سوى الولايات المتحدة الأمريكية » .

٤ – قبل الحرب بأربع وعشرين ساعة فقط قابل وزير الخارجية المصرى وزير الخارجية الأمريكية ، فى فندق « والدورف استوريا » بنيويورك ودامت المقابلة ساعة كاملة ، أخذ الوزير المصرى يلوح فيها على أن تقوم أمريكا بدور فعال فى حل الأزمة سياسيًّا . وقد صرح بعد المقابلة بأن المحادثات كانت موضوعية وصريحة .

٥ – أشاعت مصر الانطباع بأنها تسعى إلى حل سلمى بموقف آخر هو الاتجاه نحو السعودية والكويت وإمارات الخليج العربى . . وكان تحليل ذلك هو أن مصر باقترابها الشديد من دول البترول المرتبطة بالغرب إنما تسعى فقط إلى استخدام البترول كوسيلة ضغط من أجل الحل السياسى ، وقد رسخت مصر هذا التحليل بتصريحات وأقوال مختلفة .

٦ – روجت مصر أخباراً وتحليلات عن ضعفها هى وسوريا للدرجة التى لا تسمح لهما بدخول أية حرب . وقد سربت الدولتان هذه الأخبار والتحليلات بطرق ذكية جدًّا . . حتى إنها وصلت للعالم من خلال كتاب ومعلقين لا يمكن أن يوصفوا بالانحياز لمصر وليس لإسرائيل . . والغالب أن هؤلاء الكتاب وقعوا فى الشرك لإغراء المادة الإعلامية التى كانت توضع فى متناولهم بطرق مثيرة .

– فمثلاً أذاعت وكالة يونيتدبرس فى ١١ ديسمبر ١٩٧٢ من بروكسل خبراً يقول : « إن ٤٠ ٪ فقط من الأسلحة المصرية ، ٦٠ ٪ من طيرانها هى التى تعمل . ويقولون فى الدوائر الدبلوماسية البلجيكية إن ذلك راجع بصفة رئيسية إلى سوء صيانة العتاد العسكرى وإلى نقص قطع الغيار المصنوعة فى الاتحاد السوفييتى .

وهناك تقرير سرى يكشف عن أنه فى خلال التدريبات التى قامت بها مصر منذ حرب الاستنزاف ، فقدت على الأقل خمسين طائرة من طائراتها المقاتلة » .

– ونشرت بعض الصحف الإسرائيلية – نقلاً عن مراسل صحيفة « الفاينا نشيال تايمز » البريطانية فى القاهرة :

« إن الجيش العربى ليس مستعدًّا على الإطلاق للقتال ، حتى وإن كان هذا الجيش يرغب فى خوض حرب ضد إسرائيل . فمنذ أن غادر الخبراء السوفييت مصر ،

أخذوا معهم جزءاً لا يستهان به من أسلحتهم الحديثة ، ففقد الجيش المصرى ليس فقط قدرته الهجومية ، بل أيضاً فقد قدرته على الدفاع » .

– كذلك خرج من القاهرة تقرير كتبه « إيجورمان » مراسل صحيفة « لاستامبا » الإيطالية يقول فيه :

« إن الفساد ينتشر فى مصر . . والجيش المصرى لم يعد لديه ذخائر تكفيه إلا لأسبوع واحد ! ! » .

– ولقد ظهرت هذه الأخبار والتعليقات فى صحف أخرى كثيرة ، ومنها على سبيل المثال : صحيفة (الفيجارو) الفرنسية ، وصحيفة (كورپرى دلاسيرا » وصحيفة (واشنطن بوست) ، ومجلة إكسبريس الفرنسية ، وصحيفة (لوموند) الفرنسية أيضاً . .

وقد اعتمدت كل تلك الصحف ووكالات الأنباء على خبراء أو مصادر موثوق بها ، لم تعلن عن نفسها ويبدو أنها لم تكن تريد أن يعرفها أحد سوى المخابرات والقيادة المصرية . .

٧ – وفى نفس الفترة التى بدأ فيها العد التنازلى للحرب أعلن فى بيان رسمى أن « وزير الدفاع الرومانى سيصل إلى القاهرة يوم الاثنين ٨ أكتوبر ، بدعوة من المشير أحمد إسماعيل على الذى سيكون شخصياً فى استقباله لدى وصوله إلى مطار القاهرة الدولى » .

٨ – كذلك أعلن بصفة رسمية عن رحلة الأميرة الإنجليزية مارجريت التى أبدت رغبتها فى زيارة مصر ، وأخطرت السلطات المصرية سفارة بريطانيا بأنها ترحب بالأميرة ، وبالفعل طارت الأميرة من لندن إلى روما ، وكان من المقرر أن تصل إلى مطار القاهرة الدولى صباح (٦) أكتوبر ، وكان قائد الجناح الجوى « بارينكوت » الملحق بالسفارة البريطانية يحضر اجتماعاً مع كبار ضباط المخابرات لرسم خطة سير الطائرة . وتأمين وصولها . ولم يكن أحد من المجتمعين يعلم أن مطار القاهرة الدولى أغلق بعد ذلك بساعة وخمس دقائق عندما نشبت الحرب .

٩ – فى أواخر شهر أغسطس زار «كورت فالدهايم » السكرتير العام للأمم المتحدة الشرق الأوسط وقد فوجئ الكثيرون باستعداد سوريا لاستقبال الدكتور فالدهايم والبحث معه فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ذلك القرار الذى عارضته دمشق بكل شدة ، ومن دمشق توجه فالدهايم إلى القاهرة ، وتحدثت مصر مع سكرتير الأمم المتحدة وسربت للصحف أنباء مفادها أن مصر تؤمن بالتوصل إلى تسوية فى الشرق الأوسط .

ملحوظة : أغلب الظن أنه فى نفس الوقت الذى كان فالدهايم يتحرك فيه بين القاهرة ودمشق ، كان هناك أشخاص آخرون من القوات المسلحة أو من المخابرات المصرية والسورية . . يتنقلون بين البلدين لوضع الرتوش الأخيرة لخطة الحرب .

١٠ – استغل جهاز التخطيط حادثة الاشتباك الجوى بين إسرائيل وسوريا ، وإسقاط ١٣ طائرة ميج سورية ، فسربت أنباء عن عدم رضا السلاح الجوى السورى عن الطائرات السورية وأن دمشق تطلب بشدة طائرات ميج ٢٥ لمواجهة الطيران الإسرائيلى . . وقيل تبريراً لاختفاء حركة الخبراء الروس فى سوريا ، إن دمشق حددت إقامتهم كنوع من الضغط على الاتحاد السوفييتى ، بل إن هذه الأخبار (المشجعة لإسرائيل) أضافت أنه من المحتمل أن تفعل سوريا مثلما فعلت مصر فتطرد هؤلاء الخبراء السوفييت وستكون النتيجة الحتمية هى مزيد من الضعف ، والشلل خاصة فى الدفاع الجوى .

١١ – أعلنت القاهرة – قبل بدء الحرب بأيام معدودات – أنه قد وقع الاختيار على مؤسسة « بكتل » الأمريكية من بين المؤسسات العالمية ، لتقوم هى بعملية خط أنابيب البترول بين السويس والبحر الأبيض .

وتحدثت الصحف المصرية عن هذا المشروع الضخم الذى تصل تكاليفه إلى ٣٤٥ مليون جنيه ، وكيف أن هذا الاتفاق يعد أضخم اتفاق اقتصادى بين مصر والولايات المتحدة منذ رفض دالاس تمويل مشروع السد العالى ، واتجهت مصر إلى روسيا التى قبلت تمويله .

١٢ – قبل الحرب بثمانية أيام فقط . . وفى الساعة العاشرة صباحاً كان اثنان من الفدائيين الفلسطينيين التابعين لمنظمة الصاعقة يقفان داخل محطة براتيسلافيا فى تشيكوسلوفاكيا ، وقد صعدا خلسة إلى قطار متجه إلى فيينا عاصمة النمسا ، حاملاً المهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفييتى ، وكان هؤلاء المهاجرون يتعين عليهم بعد سبعة أو ثمانية أيام من رحلتهم من روسيا ، أن يتوقفوا بعض الوقت فى فيينا ، قبل أن يمضوا فى طريقهم إلى إسرائيل ، وقد أعدت الوكالة اليهودية بالاتفاق مع مستشار النمسا قصراً ضخماً يحمل اسم (شوبناو) لكى يستقبل ويستضيف ويوزع مجموعات اليهود السوفييت الذين تسمح موسكو بهجرتهم .

وما إن غادر قطار براتيسلافيا – فيينا الحدود النمسوية حتى اقتحم الفدائيان الفلسطينيان العربة المخصصة لليهود المهاجرين ، واستولوا على ثلاثة منهم أحد موظفى الجمارك النمسويين ،

ولما وصلوا إلى محطة فيينا أسرعوا إلى المطار ، وطلبوا طائرة تقلهم ومعهم رهائنهم إلى دولة عربية .

وكان على برونو كرايسكى مستشار النمسا أن ينقذ الموقف ، وتم الاتفاق على إغلاق قصر (سوبناو) وإلغاء التسهيلات الممنوحة لمجموعات المهاجرين السوفييت . فى مقابل إطلاق سراح الرهائن .

– كانت ضربة مؤلمة لإسرائيل . . فأبسط نتائج العملية الفدائية الفلسطينية هى خوف اليهود السوفييت من الهجرة إلى إسرائيل بعد ذلك .

– واستشاطت إسرائيل غضباً . . وتوالت اجتماعات القيادة السياسية والعسكرية كما توالت اجتماعات أجهزة المخابرات .

– وسافرت جولدا مائير إلى النمسا .

– وعادت جولدا مائير من النمسا .

– وقال لها (كرايسكى) إن عقله النمساوى يرفض عواطف قلبه اليهودى .

– وراحت كل الدوائر فى إسرائيل تنادى بعمل أى شىء .

– ولم تتنبه أجهزة إسرائيل إلى أن النتيجة الحقيقية والخطيرة هى توجيه أنظار المخابرات الإسرائيلية إلى خارج منطقة الشرق الأوسط والمزيد من استنفاد طاقة وجهود هذه المخابرات فى تتبع وترقب الفدائيين الفلسطينيين .

ملحوظة رقم (١) :

الفدائيان اللذان قاما بالعملية تابعان لمنظمة الصاعقة الفلسطينية .

ملحوظة رقم (٢) :

منظمة الصاعقة الفلسطينية تعمل بالتنسيق مع القيادة السورية .

١٣ – يقول مؤلفو كتاب « عيد الغفران » :

طوال صيف عام ١٩٧٢ : كانت القوات المصرية تتدرب على عبور القناة تحت سمع وبصر الإسرائيليين ، فى مواجهة أجهزة تصوير الدولة اليهودية ، أعد المصريون شواطئ للنزول عليها ، وبنوا الجسور . ولقد عرضت الأفلام التى التقطت عن ذلك

فى التليفزيون الإسرائيلى ، وقد قام المصريون مرة واحدة – على الأقل – فى عام ١٩٧٣ بتمثيل عملية العبور بأقل تفاصيل ممكنة ، ونقلت الصحف المصرية – بتوسع – سير هذه العملية التى شهدها الجنود الإسرائيليون فى خنادقهم على الضفة الشرقية للممر المائى .

حقًا أن إسرائيل قد أعلنت حالة الطوارئ إزاء تحركات القوات المصرية ولكن هذا التكرار لعملية (العبور) لم يثر سوى الضحك من جانب الخبراء العسكريين فى القدس وتل أبيب .

إن أكبر عمل تضليلى فى العملية ، هو أن عبور قوات السادات يوم ٦ أكتوبر لقناة السويس ، كان بالضبط نفس ما حدث قبل ذلك ، بكل تفاصيله الدقيقة ، وما كان يعتقد أنه تدريب يقع أمام عيون الإسرائيليين .

وفى أواخر شهر مايو ١٩٧٣ أجريت مناورات كبرى مرة أخرى ، وفجأة أصبح التوتر دراميًا على الحدود مع مصر وسوريا ، إلى درجة أن الصحف الإسرائيلية خشيت أن يكون العرب قد اختاروا موعد الذكرى الخامسة والعشرين لقيام دولة إسرائيل للهجوم عليها . وقد أعلنت حالة التأهب القصوى فى جيش الدفاع . لكن شيئاً لم يحدث .

وبعد تلك المناورات الكبرى التى قامت بها مصر فى عام ١٩٧٢ ثم فى عام ١٩٧٣ ، عمد السادات إلى جعل قواته تقوم بالتدريب على تحركات جديدة ، وقد اعتبرت إسرائيل ومعها العالم بأسره أن مناورات « صلاح الدين » (وهو البطل العربى الذى هزم الصليبيين) مجرد مناورات تدريبية جديدة .

تعليق على ما لا يحتاج إلى تعليق !

هكذا لعبت خدعة تكرار المناورات التدريبية دوراً خطيراً فى تخدير الجيش والمخابرات الإسرائيلية .

وإذا كانت تصريحات الرئيس السادات الكثيرة عن استعداد مصر للحرب الحتمية (منذ عام ١٩٧١ وحتى سبتمبر ١٩٧٣) قد فسرها المراقبون ، بأنها كانت ، بعثاً عصرياً لقصة الراعى والذئب . فإن هذه المناورات المتكررة قد دعمت عناصر هذه القصـــة . . التى تحولت بالفعل إلى واقع حى . . عندما صرخت إسرائيل فى ٦ أكتوبر . من « عضة الذئب » .

١٤ – لاحظت المخابرات الإسرائيلية (التى لا تنام) أن قيادة القوات المسلحة المصرية قد وافقت فى شهر سبتمبر ١٩٧٣ على منح إجازات لمن يريد من الضباط والجنود أداء « العمرة » . « كانت صحيفة الأهرام قد نشرت خبراً واضحاً يقول إن تصاريح العمرة لضباط وجنود القوات المسلحة قد سمح بها هذا العام) .

١٥ – أبلغت مصر أعضاء السلك الديبلوماسى الأجنبى فى القاهرة أنها تستعد ضد ضربة إسرائيلية متوقعة انتقاماً لحادث (شويناو) .

وفصل آخر من خطة الخداع والتمويه والمفاجأة :

لماذا حددت ساعة الصفر بعد الثانية بخمس دقائق بالضبط ؟

بعمليات الرصد الدقيقة والجريئة ، قدمت المخابرات المصرية تقريرها عن موعد تحرك عربات الإجازات من حصون خط بارليف إلى الشرق وهو الثانية وخمس دقائق ظهراً .

واختار أساتذة علم النفس (من بين فريق العقول المصرى) أن يكون هذا الموعد هو بالضبط ساعة الصفر . . حتى تتحقق النتائج المؤكدة التالية ، بمجرد قيام الطائرات المصرية بقصف المواقع فى هذا التوقيت :

١ – سيشعر الجنود القائمون بإجازاتهم بالفزع داخل عرباتهم التى ستسرع بهم فى اتجاه الشرق بينما زملاؤهم يتعرضون للقصف ، وسوف يؤدى بهم هذا الفزع إلى المبالغة فى حجم وقوة قصف الطيران المصرى ليبرروا قرارهم ، وعدم عودتهم إلى مواقعهم .

٢ – بالنسبة للجنود الباقين فى المواقع فإنهم سوف يتساءلون : ألم يشاهد زملاؤنا الذين لم يبتعدوا أكثر من كيلومتر واحد . هذه الطائرات وهى تهاجمنا ؟ لماذا لم يحاولوا العودة إذن لاتخاذ أماكنهم ؟ ولا شك أن هذا السؤال سوف يؤدى إلى شعور متزايد بالقهر والخيبة ، كما أنهم لو استنتجوا أن زملاءهم قد قتلوا نتيجة القصف فإن ذلك سيجعلهم يشعرون بأن الموت فى الطريق إليهم .

٣ – بالنسبة للوحدات التى سوف تدفع من العمق لنجدة المواقع ، فإنها سوف تلتقى بعربات الإجازات المسرعة فى ذعر نحو الشرق والتى سوف ينقل من فيها صورة مرتبكة ومذعورة لما يحدث فى الخطوط الأمامية . وبذلك تتحقق عدوى الخوف والرعب .

تضليل جواسيس الجو :

ولعلها كانت مهمة بالغة الصعوبة تلك المهمة التى كان على فريق العقول المصرى القيام بها . وهى تضليل أخطر جواسيس الجو الذين يأخذون شكل « الأقمار الصناعية » .

وكان من رأى الفريق محمد عبد الغنى الجمسى (رئيس هيئة العمليات) أن القمر الصناعى ما هو إلا جاسوس أبكم يمكن رصده بسهولة وبالتالى التعامل معه بما يحقق أكبر قدر من تضليله أو تفادى عيونه الإلكترونية النفاذة حتى الأعماق .

وعلى الفور وضعت مجموعة البحث فى اعتبارها شبكة الطرق المؤدية إلى جبهة القتال ومواصفاتها ثم مدارات الأقمار الصناعية ومواقيت إطلاقها ، وبعد ذلك قامت المجموعة بوضع عدد من الجداول الزمنية المعقدة كل التعقيد ، وأوضحت هذه الجداول مواعيد تحرك القوات وأماكن توقفها ، ومدة التوقف بالدقيقة ، والثانية ، مع إصدار الأوامر المشددة باتباع هذه الجداول بمنتهى الدقة ، وعلى هذا الأساس كانت الطوابير تتحرك إلى الجبهة فى مجموعات صغيرة فوق طرق مختارة بعناية حتى ولو كانت طرقاً فرعية ، ثم تعود العربات الخالية بمجموعات كبيرة فى وقت مناسب لكى يمر من فوقها القمر الصناعى الباحث عن المعلومات ، وهكذا استقبلت مراكز دراسة الصور الجوية صوراً كثيرة ، ولكنها كانت تؤدى إلى استنتاج معاكس للحقيقة .

وتتوالى سلسلة عملية الإخفاء والتمويه :

١ – صنعت صناديق خاصة لنقل المعدات حتى لا يشعر أحد أن « اللوارى » الضخمة التى تحملها هى لوارى سلاح المهندسين ، ثم رتبت لهذه المعدات حفر مناسبة على جانب القناة نزلت إليها فور وصولها فى الليل .

٢ – قامت مصر بعملية تعبئة كاملة للقوات قبيل بدء الحرب ، ثم اتخذت قرارات بتسريح (جزء) ممن تم استدعاؤهم قبل الحرب بيومين فقط ومنحت إجازات لبعض الضباط والجنود العاملين – وقد روعى فى اختيار من ألغى استدعاؤهم ومن منحوا إجازات أن يكونوا من أبناء محافظة الشرقية والمحافظات القريبة من الجبهة حتى يكون واضحاً (للعيون المراقبة) أنه قد تم بالفعل إلغاء التعبئة ، ومنحت القوات الأساسية إجازاتها العادية .

٣ – تضمنت خطة الهجوم فى ذاتها خدعة كبيرة للعدو ، فقد تم الهجوم على طول الجبهة وفى أعماق سيناء . وشرق خليج السويس ، وعبر بحيرة التمساح . وذلك حتى يرتبك العدو ، ولا يكتشف مبكراً اتجاهات الهجوم الرئيسية .

٤ – لم يحدث أى تغيير فى سير الحياة اليومية الروتينية على طول الجبهة ، فصدرت الأوامر للقوات بعدم لبس الخوذات حتى تبدأ المعركة .

٥ – اشترك العاملون فى الشركات المدنية التى كانت تتعاون مع القوات المسلحة فى عملية الخداع دون أن يدرى أحد منهم ، فظلوا يمارسون أعمالهم العادية على الضفة الغربية . . حتى بدأت الحرب .

٦ – قامت مجموعات من الجنود (سميت مجموعات الكسل) بالجلوس على شاطئ القناة . . وانهمك بعضهم فى مص القصب أو أكل البرتقال . . بل إن البعض خلعوا ملابسهم الخارجية ، ليستحموا فى القناة ، أو يصطادوا السمك .

٧ – صدرت الأوامر بعدم « نفخ » قوارب المطاط المعدة للعبور قبل بدء ضرب الطيران حتى لا يسمع صوت الجنود وهم ينفخون هواء الفم فى هذه القوارب .

٨ – صدرت الأوامر ببقاء الاستراحات العسكرية بكامل أثاثها ومهماتها دون نقلها إلى الخلف (للحفاظ عليها) . . حتى يطمئن العدو أكثر إلى استمرار الحياة العادية .

٩ – صدرت الأوامر بعدم إفطار الجنود الصائمين فى رمضان إلا مع بدء العمليات – لأن الإفطار المبكر وبشكل جماعى يعتبر مؤشراً إلى ما سيحدث .

* * *

هكذا خطط فريق العقول المصرى لتحقيق « المفاجأة » بالخداع والتمويه والإخفاء . .

وإننى إذا ما حاولت تقييم ما أعده وخطط له فريق العقول المصرى . . فى هذه الجولة الخطيرة . . فسأكون كمن يقول لمن حوله إن للإنسان عينين وفماً وأنفاً . .

ولذلك . . هأنذا أفسح مكانى لأقلام بعض الكتاب والخبراء الإسرائيليين والعالميين . . مؤكداً على أن ما سأكتفى بتسجيله مما كتبته هذه الأقلام ليس أكثر من شهادات تاريخية للعقول المصرية . . فى إحدى جولاتها الهامة . . .

الدهاء العربى يتغلب على الذكاء اليهودى :

لم تكن خطة الخديعة العربية لتنجح لو لم يبق سر موعد بدء المعركة طى الكتمان . وقد انحصر موعد المعركة فى عدد قليل جداً ، ولم يعرفه القادة فى الجبهة إلا قبل الهجوم بساعات قليلة وكان التحرك نحو الجبهة يتم ليلاً فقط كما لم يسمح للجنود الذين وصلوا حديثاً إلى الجبهة بدخول مدن القناة والقرى الواقعة حولها ، كما ألغيت الإجازات من ٢٨ سبتمبر .

وقبل نصف ساعة فقط من الهجوم فى منطقة قناة السويس ، شوهد الجنود المصريون وهم يسيرون على طول القناة بملابسهم الداخلية وبدون سلاح ، وذلك لإظهار أن هذا يوم هادئ . كما شوهد فى موقعين أطفال يلعبون على التلال الترابية فى الجانب المصرى للقناة .

إن خطة الخديعة العربية كانت كاملة ، وتم تنفيذها كما يجب . ومع أن إسرائيل قد شعرت منذ مرحلة معينة بما يجرى إلا أنها لم تصدق ما يجرى أمام أعينها . . وعندما بدأت الحرب . . وحتى قبل ذلك . . رأى الإسرائيليون كيف أن الدهاء العربى قد تغلب على الذكاء اليهودى .

(توقيع)
زئيف شيف
الخبير والمحرر العسكرى الإسرائيلى

« إن حرب أكتوبر لم تكن انتصاراً للعرب بقدر ما كانت هزيمة لنا نحن ، إذ أنها – هذه الحرب – سخرت من المخابرات الإسرائيلية وهزمتنا أمام أنفسنا . . لقد تأكدت لدى خبرائنا أن المصريين لن يحاربوا ، وأنهم إذا حاربوا فلن يكون فى أكتوبر ، وإذا كان فى أكتوبر فإنهم على أى حال لن يعبروا القناة ، وإذا عبروها فلن يكون ذلك إلا على جثث مائة ألف مصرى ، ولن يستمر عبورهم أكثر من بضع ساعات ، بعدها تدخل القوات الإسرائيلية إلى قلب مصر ، وتصفى حسابها النهائى مع المصريين » .

(توقيع)
رئيس وزراء إسرائيل قبل وأثناء
حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣

« إن التمويه والخداع كان متقناً ومحبوكاً فى تنسيق كامل ومنسجم بين القيادتين المصرية والسورية . وقد نفذت كل من البلدين برنامجاً محدداً لهذا الغرض إلى أن قامت الحرب » .

(توقيع)
المحرر العسكرى لجريدة التايمز

« إن الشعار الذى أطلقه الرئيس جمال عبد الناصر « ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة » لم ينته بموته ، بل تبناه حرفيًا وريثه فى الحكم (أنور السادات) ، ولكن فى بعض الأحيـان ، لم يعمل بهذا الشعار ، للقيـام بعملية تضليل لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، فقد تم تليينه ، وتغييره ، وإعطاؤه تفسيرات جديدة ، حتى إنه ، فى لحظة معينة ، أخلى مكانه لإعلان السادات عن استعداده للتوصل إلى سلام مع إسرائيل » .

(توقيع)
يشعياهو بن – فورات
وبقية مؤلفى كتاب « المحدال »

« لقد فشلت المخابرات الأمريكية فى تحليل الموقف على الجبهتين المصرية والسورية فانقسم المحللون إلى حمائم وصقور ، ولكن رأيهم أوصل لنتيجة واحدة ، فبينما كان « الحمائم » يعتقدون أن القيادة السياسية فى مصر وسوريا لن تلجأ إلى الحرب كوسيلة لحل الأزمة ، فإن « الصقور » كانوا يعتقدون أن العرب يعرفون جيداً أنه ليس بمقدورهم هزيمة إسرائيل ومن ثم فإنهم لن يجرؤوا على بدء الحرب معها .

وهكذا اجتمع رأى الفريقين على استحالة قيام مصر وسوريا بشن حرب على إسرائيل .

إن هذا الخطأ (فى فهم النوايا العربية) لم تقع فيه وكالة المخابرات المرَكزية وحدها ، وإنما شاركها فيه العديد من أجهزة المخابرات العالمية » .

(توقيع)
اللفتنانت جنرال دانيال جراهام
رئيس وكالة المخابرات العسكرية الأمريكية –

رأوا الأشجار . . ولكنهم لم يروا الغابة ! !

إن الاستخبارات الإسرائيلية كانت تعرف الوقائع ، لكنها أخطأت فى التصورات والتحليلات . فلقد كان لديهم معلومات ضخمة ، ولكنهم أخطأوا خطأ جسيماً فى التقديرات النهائية .

لقد رأوا الأشجار . لكنهم لم يروا الغابة (كما يقول المثل اليهودى) .

لقد كان كبار رجال الاستخبارات (الإسرائيلية) – حتى قبل بداية الحرب بدقائق معدودة – لا يزالون متمسكين بتقديراتهم القائلة بأن احتمالات الحرب ضئيلة .

ومن خلال قناعتهم هذه ، أقنعوا أيضاً المخابرات الأمريكية بأنه ليس ثمة خطر من نشوب الحرب .

ولقد أصاب هذا الفشل سمعة الاستخبارات الإسرائيلية فى الصميم .

(توقيع)
هنرى كيسنجر
وزير الخارجية الأمريكى

كانت الطمأنينة تسود إسرائيل بأكملها شعباً وجيشاً ، وكانت التقديرات القائلة بأن مصر لن تجرؤ على شن حرب تتدعم كلما زاد السادات من وعوده بأنه سيحارب دون أن ينفذ هذه الوعود .

(توقيع)
زئيف شيف

« فى الخامس والسادس من أكتوبر ١٩٧٣ أرسل ألبرت ماندلر قائد سلاح المدرعات بأحد رجاله الأكفاء ، (ضابط شاب) ليرسل له بتقارير مباشرة من أحد مراكز المراقبة على ضفة قناة السويس .

وكانت أولى بلاغات هذا الضابط التى أرسلها من برج المراقبة :

« إننى لا أرى فى الخط أى شيء خاص ، ولكن هنالك حركة كبيرة فى العمق »

ولم يتمكن هذا الضابط من رؤية أجهزة العبور التى أخفيت بصورة جيدة . ولقد استمر فى إرسال تقاريره مباشرة إلى مركز قيادة ألبرت . . إلى أن حدث الانقضاض المصرى ، وقد أسر بعد أن جرح من الطلقات الأولى فى الحرب » .

(عن صحيفة هآرتس الإسرائيلية)

كانت الضربة التى تلقاها موشيه ديان (باعتباره رمزاً للجيش الإسرائيلى) فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، (عندما عبر جيشا مصر وسوريا خطوط وقف إطلاق النار بمساندة دول عربية أخرى) . كانت ضربة صاعقة .

فلقد كانت تشتمل على نقض تراجيدى وشامل لكل نظرة ديان ، ورؤيته للعالم فى ذلك الوقت .

فقد اندلعت الحرب بصورة غير متوقعة ، فى موعد غير متوقع ، وبأبعاد غير متوقعة .

« مؤلفو كتاب المحدال »
« بشجاهو – بن فورات »
« وزملاؤه الستة »

« إن فشل إسرائيل الذريع فى التنبؤ بحرب أكتوبر يرجع إلى ثلاثة أسباب رئيسية هى :

١ – خلال السنوات الأربع السابقة للحرب ، ركزت المخابرات الإسرائيلية على مكافحة العمل الفدائى ، وخاصة الأعمال الجريئة التى قام بها الفدائيون الفلسطينيون فى الخارج .

٢ – العجز التام عن إدراك أن العرب قد يشنون حرباً تقليدية حتى ان موشيه ديان ورؤساء الأركان المتعاقبين كرروا اعتقادهم بأن العرب لم يعد فى مقدورهم سوى القيام بعمليات إرهابية عشوائية وذلك على وجه التحديد لأنهم لا يجرءون على مواجهة إسرائيل .

٣ – حين اعتقدت إسرائيل أن العرب سيشنون حرباً شاملة فى مايو ١٩٧٣ لم يحدث شيء . . . (فعادت إلى قناعتها السابقة) . ذلك لأن العرب خاصة المصريين درجوا على تكرار المناورات الواسعة على القناة نفسها وأمام قوات إسرائيل فى حصون خط بارليف .

هذا وقد توصلت المخابرات الأمريكية فى ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣ إلى أن المناورات التدريبية التى تقوم بها القوات المصرية تتم فى تشكيلات تصل فى ضخامتها إلى مستوى الفرقة الكاملة ، مع ملاحظة أنهم يقومون بتجميع إمدادات كبيرة ، إلا أنه بسؤال إسرائيل بشكل محدد « وعلى مستوى عال جداً قيل لرجال المخابرات الأمريكية ، إن الأمر لا يستدعى الخوف . فالمصريون لن يحاربوا » .

وهكذا استطاع العسكريون المصريون أن يلعبوا بالإسرائيليين .

(توقيع)

الكاتب الصحفى البريطانى « بينز برينجل »

« قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، كانت هناك أمثلة تاريخية عديدة تتعلق بشن هجوم مباغت على العدو ، نذكر منها ما حدث من جانب فرنسا فى مايو ١٩٤٠ ، ومن جانب الاتحاد السوفييتى فى يونية ١٩٥٠ ، وتشيكوسلوفاكيا فى أغسطس ١٩٦٨ ، ولكن الاتجاه العام كان يعزى هذه الأحداث للماضى ، ويسلم بالفكرة القائلة إن المباغتة العسكرية أصبحت مستحيلة فى عصرنا الذى يتميز باستخدام أسلحة بالغة التعقيد من الناحية الفنية .

وفى الحالة الخاصة بمسرح العمليات العربية الإسرائيلية فى الشرق الأوسط فإن . كافة الخبراء العسكريين والمسئولين السياسيين واثقون من أن العرب لن ينجحوا أبداً فى مباغتة الجيش الإسرائيلى ، وكانت الأدلة المبررة لذلك وفيرة بل ومتنوعة .

فأولا كانت هناك ثقة بالغة فى أجهزة المخابرات الإسرائيلية التى كان يقال عنها إنها من أفضل أجهزة المخابرات فى العالم ، خاصة وأنه كان معلوماً للجميع أن الأجهزة الأمريكية الخاصة على صلة وثيقة بها .

ثم إن مناطق الاحتكاك الخطيرة ، والتى هى مراقبة باستمرار ، تتميز بأبعادها الصغيرة بسبب كونها عبارة عن مساحة ١٥٠ كيلو متراً طولا ، ٢٠ كم عرضاً على الجبهة المصرية ، و ٧٥ كم طولا ، ٣٠ كم عرضاً على الجبهة السورية ، يضاف إلى ذلك أنها مناطق تسهل مراقبتها بالعين المجردة ، وبالطبع بواسطة الوسائل الإلكترونية بسبب كونها مناطق منبسطة جرداء لا تكاد تكون مسكونة ، تسيطر عليها مرتفعات يحتلها الإسرائيليون وهى جبال سيناء وجبل الشيخ . فضلا عن ذلك ؛ فقد كان باستطاعة طائرات الاستطلاع والأقمار الصناعية الاستطلاعية الأمريكية أن تصور كل العمق فى المناطق العربية الخلفية .

ونادراً ما تجتمع مثل هذه الظروف الصالحة لمراقبة جبهات معادية ، ولهذا بدا عنصر المباغتة مستبعداً . خاصة وأن عائقاً صناعيًّا من الصعب اجتيازه (هو قناة السويس) يحمى الخط الإسرائيلى الأول ويتيح مقاومة سهلة وفعالة . . . ومن الناحية السياسية ، كانت الولايات المتحدة الأمريكية واثقة من أنها تستطيع السيطرة على مصر ، مستندة فى ذلك إلى حجج سياسية واقتصادية ونفسية .

وفى النهاية كان هناك اعتبار دينى يدعم مشاعر الاطمئنان التام . ألم يكن العالم الإسلامى يحتفل بشهر رمضان ، شهر الصوم الذى يقل فيه النشاط فى كافة المجالات ؟!

وبرغم كل هذا ، وأمام دهشة العالم كله ، كانت المفاجأة العربية فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . لقد حدث ما كان غير متوقع ، على عكس التأكيدات المنافية من جانب كافة رجال السياسة والخبراء العسكريين والصحفيين والمتخصصين فى كافة البلاد .

(توقيع)
الخبير العالمى الجنرال أ . مرجلين

لقد أخذ العرب زمام المبادرة ، وأثبتوا أنهم قوة لا يستهان بها وقد فشلت المخابرات الإسرائيلية التى كثرت الدعاية حولها فى التقدير السليم لنوايا العدو » .

(توقيع)
ناحوم جولد مان

« تشير التصريحات الصحفية التى حصل عليها المراسلون الأجانب فى إسرائيل – والتى تشكل خلفية الأيام العشرة السابقة على الحرب – إلى العنصر الأساسى فى سوء تقدير الإسرائيليين للموقف ، وفى حسن استخدام العرب لعنصر المفاجأة . فقد أكد كبار الشخصيات الإسرائيلية فى تلك الأيام ، اعتقادهم بأن القادة العرب ليسوا مستعدين للحرب ، وأنهم إذا ما فعلوا ذلك فسوف يهزمون دون شك .

ولقد كان تقدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مماثلاً تقريباً لتقدير إسرائيل فقد نظرت فى البداية إلى عملية الحشود باعتبارها تنذر بشؤم بالغ ولكن الثقة فيما يتصل بنوايا العرب كانت حاسمة وبددت تلك المخاوف .

إن حكمة وفطنة القيادة العربية حبكت التمويه ، وتم التغرير بالمخابرات الإسرائيلية والأمريكية ففشلت تحليلاتها . ويقول أحد رجال المخابرات الأمريكية فى واشنطن : « لقد بدا اهتمام العرب بالعمل الديبلوماسى من الضخامة بحيث تم تضليلنا بالرغم من وجود شواهد على تحركات عسكرية » .

ومن جهة أخرى فإن المخابرات الأمريكية والإسرائيلية لم تجد أن المناورات المصرية حاسمة بشكل مؤكد (ولو أن هذه المخابرات وتلك قد عرفت – مثلا – أن القيادة المصرية كانت تحرك لواء فى الصباح ، ثم تعيد منه فى نهاية اليوم كتيبة واحدة فقط أى ثلث القوة – لأدركت أنها مناورات حاسمة ! ! »

(توقيع)
الكاتب البريطانى جون بارى

أخيراً :

إذا كانت هذه النماذج من الشهادات الإسرائيلية والعالمية ، بالتفوق الكاسح لفريق العقول المصرى فى جولة الخداع والتمويه ثم المفاجأة ، كافية إلى حد كبير ، إلا أننى أود أن أختتم هذا الفصل المثير بالاعتراف الرسمى للقيادة الإسرائيلية بهزيمة عقولهم ومخابراتهم فى هذه الجولة (بالإضافة إلى جولات أخرى) .

ويأتى هذا الاعتراف الرسمى الموثق من خلال تقارير لجنة أجرانات وهى لجنة التحقيق التى شكلت برئاسة شمعون أجرانات القاضى فى المحكمة الإسرائيلية العليا ، وذلك فى أعقاب طوفان أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد أصدرت اللجنة تقريرها الأول فى أول أبريل ١٩٧٤ ، ثم أصدرت تقريرها الثانى فى ١٠ يوليو ١٩٧٤ .

وأعتقد أنه من الأهمية بمكان أن تقرير أجرانات يشير إلى فشل آخر للمخابرات الإسرائيلية فى هذه الجولة – وهو فشلها فى « استخبارات الميدان » وهى تقارير المخابرات والاستطلاع عن سير العمليات وأوضاع وتحركات وأسلحة القوات المصرية . هذا وقد تعمدت ألا أشير إلى هذا الجانب فى الصفحات السابقة مكتفياً بما سأسجله الآن .

ماذا قالت لجنة أجرانات ؟
وبماذا أوصت من عقوبات ؟

قال تقرير لجنة أجرانات ما نصه :

« لقد فاجأ بدء مصر وسوريا الحرب يوم ٦/١٠/١٩٧٣ فى الساعة ١٤,٠٠ تقريباً الجيش الإسرائيلى ، لأن القيادة العليا ، السياسية والعسكرية ، لم تقدر حتى ساعات الصباح الباكر من ذلك اليوم أن حرباً شاملة ستبدأ . وحتى عندما أصبح واضحاً للقيادة العليا أن الحرب ستندلع ، افترضت خطأ ، أنها ستندلع فى الساعة ١٨,٠٠ (السادسة مساء) .

وينبغى إلقاء التبعة الرئيسية لهذه التقديرات الخاطئة ، على رئيس شعبة الاستخبارات فى الأركان العامة ، وعلى مساعده الرئيس المسئول عن قسم الأبحاث فى الاستخبارات العسكرية .

فقد أخفقا بإعطائهما الجيش الإسرائيلى إنذاراً غير كاف ، وفقط فى نحو الساعة ٤,٣٠ صباح السبت ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ أعلن رئيس الاستخبارات ، اعتماداً على معلومات جديدة تلقاها ، أن العدو يزمع بدء الحرب فى الساعة ١٨,٠٠ تقريباً على الجبهتين ، ولم يمكن هذا الإنذار القصير المدى من تعبئة الاحتياط بصورة منظمة .

لقد كانت هناك ثلاثة أسباب لفشل الجهات المسئولة عن التقييم :

١ – تمسك هذه (الجهات) بالمفهوم الذى يقول بأن مصر لن تشن حرباً على إسرائيل إلا بعد أن تضمن لنفسها فى الدرجة الأولى ، القدرة الجوية لمهاجمة إسرائيل فى العمق ، وخصوصاً المطارات الإسرائيلية لشل سلاح الجو الإسرائيلى ، وكذلك الاعتقاد بأن سوريا لن تشن هجوماً شاملا على إسرائيل إلا فى وقت واحد مع مصر (دون بحث إمكانية تحقيق ذلك) .

٢ – وعد رئيس الاستخبارات الجيش الإسرائيلى بإعطاء إنذار مسبق حول نية العدو لبدء حرب شاملة . . ولم يكن هناك أساس لإعطاء هذا الوعد المطلق .

٣ – عللت هذه (الجهات) وجود حشود مصرية وسورية على طول الخطوط بأن ذلك يدل على استعدادات دفاعية فى سوريا ، وإجراء مناورة فى مصر على غرار المناورات السابقة .

وهكذا استطاع العدو تضليل الجيش الإسرائيلى ومفاجأته تحت قناع المناورة المزعومة . .

وفى صباح يوم الجمعة فقط (٥ أكتوبر ١٩٧٣) بدأت ثقة الاستخبارات العسكرية فى صحة تقويمها تتقوض ، وذلك نتيجة تلقى تقارير واضحة لا يمكن أن تتوافق مع افتراض الحشد الدفاعى و « المناورة » ، ولكن حتى ذلك الحين أيضاً لم يتم استخلاص الاستنتاج السليم » . .

ذلك هـو نص تحليل لجنـة « أجرانات » لفشل (الجهات) التى وقفت فى الطرف الآخر أمام فريق العقول المصرى فى جولة الخداع والتمويه والمفاجأة وقبل أن نصل إلى العقوبات والتوصيات التى أصدرتها اللجنة بالنسبة لقادة فريق العقول الإسرائيلى الذى فشل فى مواجهة فريق العقول المصرى ، أود أن أشير مرة أخرى – إلى أنه يتحتم الحذر فى قبول كل ما يصدر عن إسرائيل فى هذه الجزئية المتعلقة بالمفاجأة ، حتى لا نبتلع الطعم الذى تحاول إلقاءه والمتمثل فى أن تحقيق العرب للمفاجأة ، هو وحده الذى هيأ لهم النصر ، بل إننى أشير – من جديد – إلى أن ما يدحض هذا القول أو هذا الإيحاء . . ما نشر فى صحف إسرائيل فى أيام (٤ ، ٥ ، ٦ من أكتوبر عن الاستعدادات العربية . . ويقظة جيش الدفاع لها وتأهبه التام والكامل للرد السريع القاصم . .

كذلك فإنه إذا سلمنا جدلاً بالنتيجة الحاسمة كلية للمفاجأة فى الأيام الأولى . . فما تفسير فشل القوات الإسرائيلية فى المعارك التى دارت بعد انتهاء مفعول المفاجأة . . أعنى المعارك التى دارت منذ ثانى وثالث أيام القتال ؟

ونعود مرة أخرى إلى لجنة « أجرانات » لنقرأ معاً توصياتها باعتبارها الدرجة النهائية التى نالها البعض (فقط) من قادة وأعضاء فريق العقول الإسرائيلى فى جولة « الخداع والتمويه والمفاجأة » .

١ – أدلى اللواء إلياهو زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية بشهادته أمامنا وبعد مناقشته فى الوقائع المختلفة . . رأينا أنه (اللواء إلياهو زعيرا) إزاء الفشل الذريع الذى منى به ، لا يستطيع البقاء فى منصبه كرئيس لشعبة الاستخبارات العسكرية .

٢ – تولى العميد (أرييه شاليف) ، مساعد رئيس الاستخبارات العسكرية للأبحاث موضوع الأبحاث والتقويم فى الاستخبارات العسكرية ، ذلك الموضوع الذى

فشلت فيه الاستخبارات العسكرية فشلاً ذريعاً ، وهو يتولى هذه المهمة منذ وقت طويل أى منذ سبتمبر ١٩٦٧ .

ويتضح من الوثائق التى أصدرها قسمه ، ومن الكلام الذى قاله فى المناقشات المختلفة أنه يتحمل أيضاً المسئولية عن الخطأ الفادح جيداً .

ولذلك فإنه لا يستطيع – فى رأينا – البقاء فى منصبه فى شعبة الاستخبارات العسكرية .

٣ – المقدم (يونا بندمان) : كان رئيس (فرع مصر) فى قسم الأبحاث التابع لشعبة الاستخبارات العسكرية ، وبالتالى كان مسئولاً عن أعمال الفرع الذى كان بؤرة الأخطاء المضللة للتقويمات وعدم التحذير من نوايا العدو المصرى .

وقد قال فى استجوابه : « لقد بقى فى تقديرى أنهم (المصريين) لا يعتبرون أنفسهم قادرين على الهجوم ، ولكنهم هاجموا بعد مضى أربع وعشرين ساعة من آخر تقدير لى . وهذه مسألة مختلفة » .

وفى رأينا أنه يجب التوقف عن إسناد الوظيفة المتعلقة بتقويم معلومات الاستخبارات إلى المقدم « بندمان » .

٤ – المقدم دافيد جيداليا : كان ضابطاً للاستخبارات فى أركان قيادة المنطقة الجنوبية منذ سنة ١٩٧١ ، ويتضح من الوثائق ومن المناقشة أنه ارتكب أخطاء خطيرة .

وفى رأينا أنه (المقدم دافيد جيداليا) لم يقم بواجبه كضابط استخبارات فى الجبهة الرئيسية ، خلال الأيام التى كان فيها للوقوف على نوايا العدو المصرى أهمية خاصة ، وبناء عليه يجب ألا تسند إليه بعد الآن مهمات استخبارية .

أخيراً :

ترى اللجنة أنه يبقى على صاحب الصلاحية فى القوات المسلحة إجراء التغييرات اللازمة فى الأشخاص الآخرين – غير الذين مثلوا أمامنا من أصحاب المناصب فى الاستخبارات العسكرية .

يقول التاريخ :

يقول التاريخ المصرى إن المصريين عرفوا وسائل خداع العدو والتجسس عليه منذ

أكثر من ١٥ قرناً قبل الميلاد . . مثلما حدث من سقنن رع مع ملك الهكسوس فى عام ١٥٩٠ ق . م[١] .

ومثلما فعل ابنه كاموس بعد ذلك عندما دفع أمام قواته عناصر من الفدائيين للاستطلاع وإرباك العدو وتدميره[٢] .

ولعل أبرز قصص الخداع فى التاريخ . . ما حدث فى عهد تحتمس الثالث (١٤٨٤ – ١٤٥٠ ق . م) الذى كان يؤمن بوحدة الدول العربية منذ ذلك التاريخ ، كما أنه كان أول قائد رآه تاريخ الحروب يقسم الجيش إلى قلب وجناحين[٣] .

ونعود لأشهر وأقدم قصص الخداع الذى ابتكره المصريون قبل غيرهم وهى باختصار – أن القائد تحوتى (أحد قواد تحتمس الثالث) وصل بجنوده إلى حصن (يوبا) وكان حصناً منيعاً ولم يتمكن من الاستيلاء عليه فعسكر بجنوده خارج المدينة وأرسل من جواسيسه من أوهم أمير (يوبا) بأنه (تحوتى) خان سيده فرعون مصر (تحتمس الثالث) وأنه تخلف مع بعض جنوده المتمردين على فرعون الذى غادر يوبا بعد ما يئس من الاستيلاء عليها وعاد بجيوشه إلى مصر ، ويريد تحوتى التعاون معه (مع أمير بويا) كما أنه أحضر معه الكثير من الهدايا المصرية ومن نفائس فرعون وأسلحته السحرية وهو يود أن يقدمها إليه وإلى الأميرة بصفة جزية ثمناً لانضمامه إلى حاشيته ، كما أخبره (عن طريق جواسيسه أيضاً) أنه سرق صولجان تحتمس السحرى الذى ذكرت الأساطير أن ضربة منه تكفى لأن يفقد عدوه وعيه . وابتلع أمير « يوبا » الطعم وأقام تحوتى وليمة فى معسكره (لأمير يوبا) وحاشيته أسرفوا فيها فى شرب الخمور حتى فقدوا الوعى فقيدهم جميعاً بينما كانت أصوات الدفوف والطبول تلهى حرس الأمير وجنوده خارج الخيمة عما يدور بداخلها .

وأحضر (تحوتى) مائتى قدر كان قد أعدها خصيصاً ، ووضع فيها مائتى فارس من المحاربين الأشداء يحمل كل منهم قوسه وسهامه ومعداته الحربية ، وحمل كل اثنين منهم (داخل القدور) على حصان حربى ، ثم أرسل رسلاً من رجال الأمير ليخطروا الحراس بفتح أبواب القلعة ، والسماح لقافلة الهدايا المرسلة للأميرة بالدخول لتسليمها لها .

---

(١) سبقت الإشارة بالتفصيل إلى ذلك فى فصل « القرار » .

(٢) سترد الإشارة إلى ذلك فى فصل « إنهم يدخلون من كل مكان » .

(٣) استخدم القائد البريطانى لورد اللنبى فى حربه مع الجيش التركى نفس طريق وخطة تحتمس الثالث .

ورافق (تحوتى) القافلة بنفسه متخفياً فى زى سائس الخيل حتى إذا دخلت القافلة إلى ساحة القلعة خرج الجنود بأسلحتهم من القدور وهاجموا القلعة (من الداخل) واستولوا عليها بعد أن قيدوا قادتها بالسلاسل التى أحضروها معهم داخل القدور . وهكذا سقطت (يوبا) المنيعة فى أيدى جيش مصر *

وهذه القصة مسجلة على أوراق البردى فى شكل رسالة من القائد المصرى تحوتى إلى تحتمس الثالث يعلن له فيها سقوط يوبا وقلعتها ويشرح له الخدعة التى حبكها ونفذها . ومن المعروف أن قصة حصار طروادة بجوانبها الأسطورية والواقعية تدل على استفادة الإغريق من التاريخ المصرى ، كما أن امتداد هذه القصة فى التاريخ الحربى الحديث واضح وبارز . ولعلنى قد سجلتها الآن . . لأنه دليل آخر يؤكد عراقة الإنسان المصرى العربى فى فنون الحرب ابتداء من الخداع والمفاجأة . . ثم التنفيذ الشجاع . .

فدور المخابرات المصرية فى خداع العدو الإسرائيلى . . شهد به الكثيرون كما يظهر فى هذه الدراسة . كما أن وسائل تحقيق المفاجأة كنقل معدات العبور داخل صناديق على عربات لا توحى بأى صلة لها بالقوات المسلحة . . مثال آخر من بين الأمثلة العديدة .

* * *

كيف كان موقف القوات المصرية ؟

البعد الثالث أو العنصر الثالث من عناصر تقدير الموقف كأساس للتخطيط يرتبط بوضع القوات المصرية التى ستتكفل بتنفيذ ما يتم التخطيط له .

(ا) ويبدأ التقدير عادة بالفرد المقاتل نفسه . فكيف كانت صورته ؟ .

كان مطلوباً وبشدة ، إعداد المقاتل المصرى لاجتياز مانع أو حاجز الخوف ، ولكى توضع الأمور فى مكانها الصحيح ، أسارع بأن أقول إن حاجز الخوف هذا ليس جزءاً من تكوين المقاتل المصرى العربى ، بل إن تاريخه يشهد له بأنه كان دائماً مثالاً للشجاعة وقدرة التحمل .

لكن الآثار النفسية لحرب يونية ١٩٦٧ تركت ظلالها على روح المقاتل المصرى ،

---

* من كتاب موكب الشمس – للدكتور أحمد بدوى .
ومن كتاب مصر القديمة – سليم حسن .

وطبيعى جداً أن أى إنسان يتعرض لمثل ظروف نكسة ٦٧ . . فيجد نفسه مجبراً على التخلى عن موقعه تنفيذاً لقرار بالانسحاب ، ثم يتعرض طوال انسحابه للطائرات المعادية التى امتلكت تماماً سماء المعركة . . ثم تطارده المدرعات التى انفسح أمامها المجال خصباً للتحرك والمناورة فيتعرض لأبشع أنواع التعذيب.أى إنسان يتعرض لهذه التجربة الرهيبة . . لا بد أن يعيش بداخله شبح الخوف الدائم – هذا كله بالإضافة إلى الحرب النفسية الإسرائيلية الضارية التى استهدفت الروح المعنوية – للمقاتل العربى – من خلال الدعاية المخططة والعمليات الانتقامية الاستعراضية ، ومن ثم فإن المخططين المصريين كان عليهم أولاً إعداد المقاتل لاجتياز هذا الحاجز . . ثم إتاحة الظروف الملائمة لتحقيق هذا الاجتياز .

وبديهى أن الإعداد يتمثل فى رفع الروح المعنوية ، وإذكاء الحماس ، واستنفار طاقة الغضب من أجل الكرامة الجريحة والأرض المحتلة .

وأقول – واثقاً – إن هذه المهمة كانت ميسورة إلى حد كبير ليس انتقاصاً من جهد الإعداد والتخطيط ، ولكن اعتماداً على هاتين الحقيقتين :

١ – أصالة الجندى المصرى . . ونوعيته الفريدة التى جعلت منه الاستثناء الوحيد من قاعدة الخوف المطلق أو الخوف الدائم أبداً نتيجة لتجربة مريرة ومخيفة كتجربة يونية ١٩٦٧ .

ولست الآن بصدد تحليل أبعاد نوعية الجندى المصرى فهى تحتاج إلى مجلدات . . وإن كان الإنسان العادى يعرف جيداً أن هذه النوعية الفريدة ترتبط بالإيمان العميق بالله والوطن ، وترتكز على سبعة آلاف عام من الحضارة ، وتستفيد من تعرضه فى تاريخه الطويل لمحاولات الغزو الأجنبى المتعددة مما رسخ فيه القدرة الهائلة على التحمل والجلد ، والاستعداد الدائم للتضحية والفداء .

٢ – الحقيقة الثانية تتصل بحرب الاستنزاف التى خاضها الجيش المصرى . . ودفعت فيها إسرائيل ثمناً غالياً ، بل إن قادتها اعترفوا أخيراً بها كحرب مستقلة كلفتهم الكثير .

ولقد كانت استفادة المقاتل المصرى من هذه الحرب الاستنزافية استفادة عظيمة . . فهو بعد أيام من النكسة المؤلمة . . شاهد بقايا سلاحه الجوى تقوم فى ١٤ ، ١٥ يولية ١٩٦٧ بهجوم سريع وشامل على القوات الإسرائيلية فتصيبها بالخسائر الكبيرة والذعر الكامل

حتى إن سيناء كانت مفتوحة أمام القوات البرية لكى تعبر إليها وتنطلق إلى أعماقها لولا أن الجيش لم يكن قد أعيد بناؤه أو حتى ترميمه بشكل معقول . . ثم جاءت بعد ذلك ضربة المدمرة إيلات ، وقبلها كانت معركة رأس العش التى تحدث فيها قوة مصرية محدودة كل أنواع الهجوم الإسرائيلى وتشبثت بموقعها على الضفة الشرقية للقناة ، إلى أن اتسع نطاق حرب الاستنزاف وأخذ شكل التراشق بالمدفعية ، والهجوم الإسرائيلى بالطيران ، والقيام بإغارات على المواقع الإسرائيلية فى سيناء .

استفاد المقاتل المصرى من هذه الحرب . . لأنه رأى الطائرة الإسرائيلية (التى كانت تمرح فى سماء المعركة أثناء حرب يونية ١٩٦٧) ، وهى تسقط على الأرض بضربها بوسائل الدفاع الجوى أو فى معارك جوية مع الطائرات المصرية . لقد كان سقوط طائرات إسرائيلية فى حرب الاستنزاف بداية لسقوط شبح الخوف من السلاح الجوى الإسرائيلى ، كما كانت عمليات الإغارة التى قامت بها وحدات من الصاعقة ثم وحدات من المشاة (وصلت إلى حجم كتيبة) عاملاً آخر فى كشف حقيقة الجندى الإسرائيلى الذى جعلته حرب ١٩٦٧ والدعايات الصهيونية . . صورة للسوبرمان أو جيمس بوند العصرى .

ولكن . . هل معنى تسجيلى لهاتين الحقيقتين المتعلقتين بالمقاتل المصرى . . أننى أنفى أساساً وجود حاجز الخوف ؟

ولو كان ذلك كذلك ، فلماذا إذن ذكرت هذا العامل واعتبرته مانعاً كان لا بد من اجتيازه ؟

١ – لست أعتقد أن هذا ما يتبادر إلى ذهنك أيها القارئ العزيز .: فإذا كنت قد توقفت أمام هاتين الحقيقتين ، فإننى فقط قمت بتسجيل ركيزتين أسس عليهما القادة المصريون بقية البناء المعنوى . وإلا لو كان الأمر منتهياً عندهما لكنا نهمل بشكل غير مقبول الفارق بين حرب استنزافية وحرب شاملة . . كما كنا نهمل العامل البشرى الذى يظل قائماً مهما كانت نوعية المقاتل . . لأن الاختلاف الوحيد يكون فى حجم هذا العامل . فإذا كان هناك إنسان يتملكه الخوف لدرجة أنه ينتزع من داخله كل استعداد لتجاوزه والخروج من حصاره . . فهناك الإنسان الذى لا تصل سيطرة الخوف عليه نتيجة للتجربة الصعبة – إلى هذا الحد . .

إذن يظل الإنسان بشراً يعرف الخوف ولا يفرق بين إنسان وآخر فى ظل هذه الظروف إلا « حجم » هذا الخوف ، واستمراره . . أو القدرة على تجاوزه .

٢ – الجانب الثانى المتعلق بالمقاتل المصرى . . هو ما كان متوقعاً من إصابته بمرض الخنادق ، الذى يعرفه العسكريون (والذى تحدث عنه المشير أحمد إسماعيل على القائد العام للقوات المسلحة) .

إن بقاء القوات لفترة طويلة تقاس بالسنوات داخل خنادقهم يعرض هذه القوات للإصابة بهذا المرض .

٣ – فى نفس الوقت كان على القيادة أن تكمل الجهد الهائل فى تحقيق استيعاب المقاتل لأعقد الأسلحة الإلكترونية الحديثة وبأسرع وقت ممكن . وقد كان تدعيم القوات المسلحة بالجنود المؤهلين علمياً ، مدخلاً منطقياً لتحقيق هذا « الاستيعاب » الذى تصور الإسرائيليون أنه حكر على جنودهم وضباطهم .

٤ – بدراسة كل السلبيات التى ظهرت فى حرب يونية ١٩٦٧ ، كان على القيادة أن تخطط أيضاً لتصحيح العلاقة بين الضابط والجندى ، إذ أن الرواسب القديمة التى تعود إلى الاستعمار الإنجليزى والحكم الملكى ، والتى كانت تظهر فى جعل الكليات العسكرية تكاد تكون مقصورة على أبناء الطبقة الأرستقراطية ، هذه الرواسب جعلت العلاقة بين الضابط والجندى . . أقرب ما تكون إلى العلاقة بين المالك والعامل الأجير – وصحيح أنه بقيام ثورة ١٩٥٢ ضاقت هذه الهوة بين الضابط والجندى إلا أنها ظلت تتحكم – جزئياً – فى هذه العلاقة بما فى ذلك من آثار سلبية خطيرة النتائج .

٥ – كان على القيادة أيضاً أن تنمى لدى الضباط قدرة وحرية اتخاذ القرار حسب ما تفرضه أحداث المعارك ، دون الانتظار الأبكم لتعليمات القيادة الأعلى حول كل صغيرة وكبيرة .

خططت القيادة المصرية لتحقيق ذلك كله بالنسبة للمقاتل المصرى ، وقد نجح التخطيط والإعداد بشكل مثير . مما جعل قادة إسرائيل أنفسهم يعترفون بأنه « إذا كانت لكل حرب مفاجآتها فإن مفاجأة هذه الحرب هى الجندى المصرى » .

وإذا نحن مثلاً توقفنا أمام الجانب المعنوى وهو « السلاح السرى » كما قال العدو أيضاً ، نجد أن كاتباً كبيراً مثل أندريه دويتش يقول فى كتابه (خفايا حرب الشرق الأوسط) :

« إن يوم السادس من أكتوبر . . كانت له جاذبية تاريخية لأنه يوافق يوم العاشر من رمضان . . وفى مثل هذا اليوم كان النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – قد بدأ استعداداته

لمعركة (بدر) التى أدت بعدها بعشرة أيام إلى دخوله مكة مظفراً ، وبدأ فى نشر الإسلام . ومن هنا كان اختيار اسم (بدر) كاسم رمزى للعملية » .

هكذا أضاف أيضاً اختيار يوم اندلاع شرارة بدر إلى أبعاده العسكرية . . بعداً آخر يتمثل فى الجانب الروحى والمعنوى للمقاتل المصرى العربى .

ولعل خير ما يصور موقف المقاتل المصرى . . قبل . . وأثناء نشوب حرب أكتوبر . . هو ما ذكره الخبير والمعلق الإسرائيلى زئيف شيف . . الذى يقول :

« مع نشوب الحرب أخذت الإذاعات المصرية توجه نداءات تشجيعية للجنود فى الجبهة ، وكانت هذه الإذاعات تكرر نداء مفاده « أن كرامة آبائنا ، وكرامة أبنائنا ، وكرامة الأمة العربية جميعها بأيديكم . . لذا اثبتوا . . واصمدوا . .

وكان هذا أيضاً هو الشعار الذى ورد فى الأوامر التنفيذية التى صدرت لطوابير الجنود المصريين قبل توجههم إلى الجبهة . .

. . وفى أوج القتال أصدر سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان المصرى أمراً يومياً لجنوده قال فيه : « لقد أنقذت الحرب الكرامة العربية ، فحتى لو هزمنا الآن ، لن يستطيع أحد بعد ذلك أن يقول إن الجندى المصرى ليس مقاتلاً ممتازاً » .

كما أن أحمد إسماعيل على وزير الحربية المصرية قال هو الآخر : « إن مصر قد أعادت لنفسها عزتها الوطنية وكرامتها ، كما أن القوات المسلحة قد استعادت كرامتها لنفسها ولمصر » .

لقد أثارت مسألة الكرامة العربية جميع العرب من الخليج إلى المحيط ، وخاصة بعد نكسة حرب الأيام الستة . وفى إسرائيل لم يقدروا هذه المسألة بالشكل الصحيح ، ولم يقدروا تأثير اليأس والمرارة فى حث العرب على القتال ، وكان التقدير الرسمى فى إسرائيل هو أنه كلما زاد شعور العرب باليأس زاد استعدادهم لتقديم التنازلات .

صحيح أن الهزيمة فى حرب الأيام الستة قد أقنعت الكثيرين من العرب أنفسهم بأنهم لن يستطيعوا تسوية النزاع مع إسرائيل بالوسائل العسكرية ولكن هذه الهزيمة دفعتهم إلى العمل على استعادة كرامتهم بأى ثمن ، وكان الخوف من فشل جديد يعطل هذه المحاولة ، حتى وجد حاجز الخوف عندهم ، وفى عام ١٩٦٩ عند ما بدأ عبد الناصر حرب الاستنزاف قام بجهد لاقتحام هذا الحاجز لكن هذا الجهد لم يكتمل حين جلبت مصر آلاف المستشارين السوفييت من أجل تجنب الوقوع فى هزيمة جديدة .

وكان اليأس كبيراً لدرجة أنه قامت أصوات فى العالم العربى تقول إنه يجب على الأمم أحياناً أن تخاطر بعملية انتحارية من أجل إنقاذ كرامتها – وتحدث السادات عن استعداده لتقديم مليون مصرى على مذبح الحرب مع إسرائيل .

ولقد بدأ جيش الدفاع الإسرائيلى فى تغذية حاجز الخوف العربى منذ عام ١٩٥٣ (مع عملية قبية) وأواخر عام ١٩٥٦ (حرب سيناء) ووصل هذا الخوف إلى ذروته بعد حرب الأيام الستة فى ١٩٦٧ كما تم تدعيم هذا الحاجز بغارات الطيران فى عام ١٩٧٠ على العمق المصرى .

ولاحظت إسرائيل كيف يعلو حاجز الخوف العربى ، وكلما طال أمد هذا الحاجز قوى اعتقاد قادة إسرائيل بأن العرب لن يجرءوا على شن الحرب . وبرغم أن قادة جيش الدفاع الإسرائيلى كانوا على علم بتعزيز القدرة العربية منذ حرب الأيام الستة ، فإنهم لم يصدقوا بسهولة أن العرب سيتجرءون على استخدام قوتهم العسكرية ، وفى السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ اجتاز العرب حاجز الخوف هذا بسهولة شديدة .

وينتقل المعلق الإسرائيلى فى دراسته بعد ذلك إلى جانب آخر من موقف المقاتل المصرى العربى فيقول :

كان الجمهور الإسرائيلى يرى أن الجندى العربىّ لا يتمسك بأهدافه ، وأن متوسط ثقافته منخفض ، وأنه يجد صعوبة فى استخدام الأسلحة الحديثة ، كما أنه غير مستعد للمخاطرة كثيراً وقت المعركة ، ويميل إلى ترك زملائه الجرحى ، كما كان الجمهور الإسرائيلى يرى أن القادة فى الجيوش العربية كثيراً ما يبعثون بتقارير غير صحيحة ، وأن معاملتهم لمرءوسيهم سيئة .

وقد قال قادة عسكريون كبار : « إن الفارق النوعى الذى يحدد مستوى الجندى بين إسرائيل والدول العربية سيبقى لعدة أجيال » .

وهكذا ذهلت إسرائيل من نجاح العرب فى مفاجآتها فى حرب يوم الغفران ، وتحقيق إنجازات عسكرية .

وكان على إسرائيل أن تعيد من جديد تقدير المقاتل العربى . . ولقد كان التحسن البارز لدى المحارب العربى هو فى الحافز ، وفى استعداده للقتال فمن المؤكد أنه فى عام ١٩٧٣ ، أثبت الجنود المصريون والسوريون أن لديهم حافزاً للحرب أكبر بكثير مما كان عليه الأمر فى الحروب السابقة .

ويعود الكاتب الإسرائيلى إلى تاريخ المقاتل المصرى العربى فيعترف كما اعترف غيره بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ . . بأن الهزائم العامة فى حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ هى التى طمست ما قام به المقاتل العربى ويضرب الأمثلة بالبطولات التى أظهرها المصريون فى ١٩٤٨ (فى الفالوجا وفى غزة وفى الشيخ زويد) ثم ما أبدوه من شجاعة فى أبو عجيلة عام ١٩٥٦ ، وهو يضرب أيضاً الأمثلة لبطولة المقاتل السورى والفلسطينى والأردنى عبر هذه الحروب .

* * *

واعترافات أخرى :

« إن هناك أمراً واحداً اتضح فى حرب أكتوبر وهو أن الجيش المصرى أثبت أنه جيش جيد لا يجوز التقليل من شأنه ، ولقد برز التحسن فى مستوى الجندى الفرد وفى مستوى القيادة » .

(توقيع)
(أورى بن آرى)
نائب القائد العام لجبهة سيناء

* * *

« لقد أثبت الجندى المصرى المشاة فى حرب الغفران أن له قدرة فائقة جداً . فلقد تمتع الجنود المصريون الذين وقفوا فى مواقع بطاريات الصواريخ وبجانب المدافع المضادة للطائرات ، بالجرأة المذهلة ، وحاربوا وجهاً لوجه ضد الطائرات الإسرائيلية المغيرة عليهم . كذلك قاتل الكوماندوز المصريون هم والكوماندوز السوريون بضراوة وصلابة .

(توقيع)
عمونئيل شيقد
كبير ضباط المظليين وسلاح المشاة الإسرائيلى

* * *

ثم شهادة لخبير أمريكى عالمى :

« بعد العمليات العسكرية الرائعة التى شهدتها الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية ، تضاءلت مكانة الجندى العربى فى نظر الغرب لأسباب لا دخل له فيها » .

وفى الحروب السابقة مع إسرائيل ظل الجندى الإسرائيلى طيلة قرن وربع قرن . صورة للجندى الذى لا يقهر . وأكثرت إسرائيل من دعايتها لتغذية هذا الفهم وترسيخ تلك الصورة . . إلى أن فوجئ العالم فى أكتوبر ١٩٧٣ بالجنود العرب يحطمون القيود ، ويقهرون الإسرائيليين ويأسرونهم بالمئات ، ويسقطون المئات من طائراتهم ويدمرون المئات من دباباتهم .

وخلاصة القول أن الجندى العربى قضى على أسطورة السوبرمان الإسرائيلى الذى لا يقهر .

(توقيع)

ادجار أوبلانس

(ب) الإمكانيات المتاحة للقوات المصرية :

يأتى بعد العنصر البشرى . . دور الإمكانيات . . ولعل المخططين المصريين حين وصلوا إلى هذه النقطة فى تقديرهم لموقف قواتهم . . قد توقفوا طويلاً أمامها . .

لقد كان هناك نقص فى بعض أنواع الأسلحة . . على سبيل المثال كان الطيران المصرى والسورى يفتقر إلى الطائرات القاذفة المقاتلة ذات المدى البعيد القادرة على حمل كميات ضخمة من القنابل والصواريخ من أجل مهاجمة العمق الإسرائيلى (العسكرى) وتقديم الدعم للقوات البرية العربية فى ساحة القتال .

حتى بالنسبة للطائرات الموجودة لدى القوات الجوية المصرية . . كانت إمكانياتها الفنية أقل من الإمكانيات الفنية لطائرات سلاح الجو الإسرائيلى ويكفى أن نعرف – مثلاً – أن طائرات الميج ١٧ توقف الاتحاد السوفييتى عن إنتاجها منذ سنوات طويلة : كما أن الطائرات المقاتلة الميج ٢١ ظهرت بعدها أنواع أكثر تقدماً ، بينما امتلكت إسرائيل أحدث طائرات الفانتوم والميراج .

كان على مصر أن تعتمد كلية على نفسها فى ابتكار وسيلة لشق الساتر الترابى . . إذ أنه لم يقدم لها من الوسائل ما يحل هذه المشكلة الكبيرة ، بل إنها لم تجد حتى الأفكار التى تساعد على البحث عن الوسائل . . لم تجد هذا أو ذاك وإنما استمعت إلى الآراء التى تثبط الهمم وتزرع اليأس فى النفوس .

لم تتوافر لمصر وسائل الاستطلاع الحديثة ، وكان عليها أن تعتمد على الاستطلاع

التقليدى بالطائرات المقاتلة أو بدفع عناصر من قواتها ، إلى عمق العدو بشكل مكثف .

لم يكن لدى مصر من قوارب العبور ما يسمح باقتحام القناة ، وكان لزاماً عليها أن تقوم بالتصنيع المحلى لثلاثة أرباع القوارب المطلوبة .

أيضاً لم يكن لديها من الكبارى ما يسمح بعبور القوات ، وكان عليها أن تستكمل ٦٠ ٪ من الكبارى المطلوبة .

كلمة أخيرة فى حرب العقول :

أو . . « معركة الإعداد والتخطيط » :

قد تغرينى الثقة بالنفس ، ويدفعنى الاطمئنان إلى الجهد الذى بذلته فى رصد وتسجيل هذه الجولة العقلية المعقدة ، إلى أن أقول إننى قد ألممت – وبالتالى نقلت للقارئ العزيز – كل ما أعدت وخططت له القيادة المصرية والسورية .

ولكننى . . أكون فى هذه الحالة مغالطاً للواقع ، ومخادعاً لنفسى . . وهذا ما لا أرضاه أو أقبله . .

ومن ثم فإننى أرجو أن أسجل هذه الإضافات السريعة – على سبيل المثال –:

١ – إذا كانت – على سبيل المثال – بنود الخداع والتمويه التى ذكرتها والتى تفوق فى عددها وتفاصيلها ما ظهر فى الكتب والدراسات الأخرى – إذا كانت هذه البنود تبدو كأنها كل ما أخرجته جعبة فريق العقول المصرى فى هذه الجولة – لكثرتها وعمقها – إلا أن المؤكد أن هذا الفريق الذكى العلمى لم ولن يكشف كل أوراقه ، ولعل قدرته على الإخفاء والخداع تجعلنا نتأكد من هذا الاستنتاج الذى وصلت إليه ، وبالتالى نعلم علم اليقين أن ما تم كشفه هو مجرد عينات أو نماذج .

٢ – من تحصيل الحاصل أن نقول إن الإعداد والتخطيط لم يقتصر على القوات المسلحة ككل – ولكنه تدرج بنفس الدقة والحنكة بحيث إن كل سلاح وكل فرقة وكل لواء وكل كتيبة ، بل وكل سرية كان لها الإعداد والتخطيط الخاص بها والمرتبط بطبيعة عملها . .

كذلك فمن البديهى أن فريق العقول المصرى لم يضع هذا التخطيط ثم . . أعطيت الإشارة بالتنفيذ . فقد كان هناك تخطيط آخر سار فى نفس الخط وبنفس الجهد لمواجهة الاحتمالات المختلفة والتى منها – على سبيل المثال – ماذا يحدث لو اكتشف العدو الاستعداد والنية للحرب وقام بشن حرب وقائية قبل ساعة الصفر العربية ؟ !

تفاصيل الخطة العربية كما حددها خبير إسرائيلى :

ارتكزت الخطة العربية التى اكتمل إطارها فى (١٤ يناير – كانون الثانى ١٩٧٣) على النقاط التالية :

١ – تكون البداية عبارة عن هجوم شامل على الجبهتين المصرية والسورية تشترك فيه عدة مئات من الدبابات وعشرات الآلاف من المشاة ولو أدى ذلك إلى خسائر كبيرة ، ففى الهجوم الشامل فرصة معقولة للقضاء على الخطوط الإسرائيلية وللحصول على مكاسب بسرعة .

٢ – يكون كل من القصف المدفعى المسبق والقصف الجوى ، قصيراً ، ويتركز بصفة خاصة على الجبهة وبالقرب منها ، وبذلك يتم تأمين المفاجأة بالانقضاض الشامل . وعدم استنزاف القوات الجوية بعمليات داخل العمق الإسرائيلى ، وإبقاؤها ما أمكن للمرحلة الثانية من القتال .

٣ – مفاجأة القوات الإسرائيلية الموجودة فى الخطوط الأمامية ، لتحقيق الضربة الأولى قبل تجنيد الاحتياطى الإسرائيلى .

٤ – لا يشغل المهاجمون فى المرحلة الأولى بالمواقع الإسرائيلية ، ولكن عليهم أن يتوغلوا فى الداخل ، فيعبروا القناة ويفتحوا ثغرات بين المواقع الإسرائيلية (ونفس الخطة تتم مع الفارق على الجولان) . وبعد ذلك يقوم هؤلاء المهاجمون بإقامة جسور العبور للمدرعات والمشاة الآخرين .

٥ – مع حلول الظلام ، يتم إنزال رجال الكوماندوز بالمظلات ، أو يتم إبرارهم بطائرات الهليوكبتر ، ويقوم هؤلاء بالاستيلاء على الممرات ومفارق الطرق ، وتكون مهمتهم هى إعاقة وصول الاحتياطى والنجدات للجيش الإسرائيلى وعرقلة النشاط الإسرائيلى فى الخطوط الداخلية للجبهة .

٦ – هدف المرحلة الأولى من القتال هو الاستيلاء على قناة السويس فى الجبهة المصرية وكذلك هضبة الجولان حتى الأردن فى الجبهة السورية .

* * *

* **قالوا عن التخطيط العربى**

أول حرب يخطط لها العرب بدقة

إن حرب يوم الغفران هى الحرب الأولى التى خطط لها العرب بصورة رئيسية محاولين ألا يتركوا أى أمر للصدف . وهذه المرة كان الاستراتيجيون العرب وراء المبادرة والمباغتة .

وقد استند تخطيطهم إلى عدة أمور منها تقديرهم بأن إسرائيل وجيشها مستعدان لحرب خاطفة فقط ، وأن إسرائيل غير مؤهلة اقتصادياً للاستمرار فى التجنيد الشامل لأكثر من عشرين يوماً . وأنها لا تستطيع أن تقاتل فى أكثر من جبهة واحدة . .

وفى محاولة من المصريين لتفهم الحالة النفسية للإسرائيليين ، توصلوا إلى أن الطريقة الأفضل فى جعل إسرائيل تنهار هى إيقاع خسائر كبيرة فى أرواح جنودها .

(توقيع)
زئيف شيف
الخبير والمعلق الإسرائيلى العسكرى

« إن كفاءة التخطيط والأداء التى تمت بها عملية الاقتحام المصرى ، والتمهيد لهذا الاقتحام بالضربة الجوية ، والمدفعية المصرية ، لا يمكن لأى جيش آخر فى العالم أن يفعل ما هو أفضل منه » .

(توقيع)
الكولونيل الأمريكى ت. ن ديبوى